الصهيونية

أعد **هذه الدراسة** فريق من الباحثين، وكانوا قد بدأوا باعدادها غداة ٥ يونيو، في نطاق دراسة موسعة وشاملة للقضايا الرئيسية المرتبطة بالصراع العربي الاسرائيلي .

ولقد تمت هذه الدراسة تحت تأثير اعتبارين :

الاول : هو الحاجة الى دراسة معمقة للصهيونية من وجهة نظر الاشتراكية العلمية .

الثاني : هو أن ٥ يونيو قد كشف فيما كشف عن عدم معرفة أقسام واسعة من الرأى العام الغربي ، بما في ذلك أقسام من الرأى العام اليسارى بحقيقة اسرائيل وطبيعة الحركة الصهيونية أى بالعناصر الجوهرية ، والقضايا المحورية التى تشكل ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط .

وانطلاقا من هذين الاعتبارين بدأت ـ غداة الهزيمة ـ دراسة أبعاد النزاع العربي الاسرائيلي . وربما كان أهم ما يذكر في هذا الصدد أن الباحثين الذين كتبوها ينتمون الى أصول اسلامية ومسيحية ويهودية ، ولكن منهج الاشتراكية العلمية قد ساعدهم على أن يصلوا الى نظرة متكاملة وموحدة .

لقد اشترك في كتابة الدراسة : **أحمد صادق ، ومحمود حمدى عبد الجواد ، ووديع وهيب ، وشكرى عازر .**

وكانت هذه المجموعة من الباحثين قد تشكلت تحت اشراف **د. اسماعيل صبرى عبد الله** . وقد ساهم مع **أبو سيف يوسف** في وضع تخطيط الدراسة ، ومتابعتها ومناقشة فصولها مع الباحثين أولا بأول.

واذا كان المثقفون العرب قد نشطوا بعد ٥ يونيو الى اثراء المكتبة العربية فقدموا الكثير من البحوث والدراسات القيمة عن قضية فلسطين وعن اسرائيل والصهيونية ، فان المجال مع ذلك لا يزال مفتوحا لمزيد من الاجتهاد ، من أجل فهم علمي وصحيح لقضايانا ومشاكلنا .

التـــــاريخ - الحـــــركة
الأفـــــكار - المصـــــالح

اذا صح أن مخطط الهجرة اليهودية الى فلسطين ، كان فى الاصل مخططا انجليزيا يعود الى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، فان هذا لا ينفى أن للحركة الصهيونية العالمية واقعها وخصائصها المميزة التى لابد من ادراك كنهها · وهذا ضرورى لفهم التناقضات التى تفجرت فى بعض فترات تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة بين الصهيونية وبين بعض القوى الامبريالية ، وحتى يتجنب المرء التخبط فى فهم بعض مواقف الدول الغربية وبعض القادة السياسيين تجاه عدد من مطالب الصهيونية ومخططاتها واشاعة فهم متفائل وسطحى من موقفهم بازاء القضية العربية ·

تكتيك الدعاية الصهيونية

من الامور الهامة التى لفتت انظار المراقبين قبيل وفى اعقاب احداث يونيو ١٩٦٧ ، ذلك التعاطف الكبير من أقسام واسعة من الرأى العام الاوروبى مع العدوان الاسرائيلى ونتائجه ·

ففى فرنسا مثلا :

« بلغت نسبة الذين تمنوا انتصار اسرائيل ٧٣ فى المائة من ناخبى الوسط الديمقراطى و ٦٤ فى المائة من ناخبى الجمهورية الخامسة و ٦٣ فى المائة من المناصرين للاتحاد و ٣٧ فى المائة من الناخبين الشيوعيين » (١) ·

وكتبت « مجلة الاحداث » الفرنسية فى عددها الصادر فى يوليو ١٩٦٧ تقول : « عندما نرى جاك سوستيل وكسانيه فالا - القومسيير السابق للشئون اليهودية فى حكومة فيش — يعلنان تأييدهما لاسرائيل . فمن حقنا أن نتساءل اذا لم تكن كراهيتها للعرب ولعبد الناصر خاصة هى أساس موقفهما ، وهو شك يقويه اتفاق جميع حركات العائدين من الجزائر معها فى هذا الوقت » ·

الا ان هناك شخصيات يسارية أيضا ناصرت اسرائيل بقوة،فهذا « **روبير مزراحى** » الذى يشترك فى تحرير مجلة الازمنة الحديثة قد اصدر نشرة خصيصا لهذه المناسبة تحت عنوان « **حرب سيناء** » يتحدث فيها عن مصر باعتبارها بلدا فاشيا ·

أما جى موليه وكريستيان بينو فيريان أن الحوادث برهنت على صحة موقفها السابق ، وبررت حملة السويس بعد انتهائها ·

وفرنسوا ميتران — الذى كان مرشحا للرئاسة ضد الجنرال ديجول فى آخر انتخابات رئاسية خاضها ديجول — يدين البلاد العربية وان تميزت ادانته بظلال متنوعة ورقة اكبر ·

كان هذا هو الموقف العام فى فرنسا رغم موقف « الحياد » الذى اعلنته حكومة الجنرال ديجول · ومن الطبيعى ان الامر كان اخطر من ذلك فى بقية بلدان اوربا الغربية ، ولذلك نرى « **ديميرون** » يقول :

« فى فرنسا وغيرها من البلدان — عندما يتعلق الامر باسرائيل ، لا يتحرك الناس بموازين العقل

---

(1) P. Démeron: Contre Israël. Paris — 1968. p. 83.

بلّ يدخلون فى نوبات هستيرية ، فيرفضون التأمل فى الحوادث ويفضلون الحكم على النيات ، ويحل الاستنكار محل المنافسة » (٢) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : من اين أتت الحركة الصهيونية بهذا القدر الهائل من التأثير فى الرأى العام ؟

قد تكون بعض الاخطاء الجسيمة التى وقع فيها الاعلام العربى ، والاستغلال الواسع من الصهيونية لهذه الاخطاء ، قد ساهما جزئيا فى خلق الارضية المواتية لتعاظم هذا التأثير . وقد يكون للمبالغ الكبيرة التى تقدمها بيوتات المال الكبرى على الدعاية الصهيونية دخل كبير . الا أن هذا الوضع الذى ـ لم يكن وليد هذه الفترة بالتحديد ـ كان قد تكون خلال فترة طويلة بوساطة « تكنيك اعلامى » مخطط قدمت به الصهيونية نفسها الى الرأى العام العالمى . تكنيك يقوم على طرح « حجج للاختيار » ويتسم بالوصولية وبمحاولة واعية لجذب جميع الاتجاهات والميول السياسية ، حتى وان اضطر فى هذا السبيل الى الاعتماد على حجج متناقضة . واذا كان من العسير تتبع كل دعاوى الصهيونية وحججها الا انه من الممكن ـ بشكل اولى ـ تقسيمها الى حجج تخاطب اليهود ، حجج ذات طابع « انسانى » عام ، وحجج تخاطب اليسار ، وحجج تخاطب اليمين .

حجج تخاطب اليهود المتدينين

لقد اتخذت الصهيونية مما جاء فى التوراة من « وعد الهى » لابراهيم منذ اربعة الاف سنة ، « لقد أعطيتك هذه الارض ولذريتك من بعدك » سندا دينيا لها نسجت حوله التفسيرات والاساطير الواسعة لتجنيد جماهير اليهود فى تحقيق مخططاتها السياسية ، مدعية ـ فى مواجهة كل حقائق التاريخ ـ أن تعبير « ذرية ابراهيم » انما يعود الى الذين يعتنقون اليوم الديانة « اليهودية » دون سواهم .

واذا كان « هرتزل » يخاطب الامبراطور الالمانى غليوم الثانى قائلا :

« نحن لا تربطنا بهذه التربة المقدسة اية حقوق ملكية صحيحة ، فلقد مرت أجيال عديدة منذ كانت هذه الارض يهوديه . واذا تحدثنا نتحدث فقط مثلما يتحدث المرء عن حلم من الزمن العريق فى القدم . لكن الحلم لا يزال حيا فى مئات الالوف من القلوب » (٣) .

نقول اذا كان هذا هو رأى « هرتزل » فاننا نرى « وايزمان » ـ فى شهادته اثناء مناقشة القضية الفلسطينية أمام لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٤٦ ـ يؤكد ان الميثاق الحقيقى الذى يتمسك به الشعب اليهودى هو الوعد الالهى له بارض اسرائيل .

بينما يعلن بن جوريون « لم يكن هذا البلد ابدا ملكا خاصا لاى شعب آخر غير الشعب اليهودى » (٤) .

واذا كانت الاسطورة الصهيونية هدفنا الى البحث عن « راية مقدسة » تجند تحتها جماهير اليهود فى حربها التى اعلنتها على شعب فلسطين العربى ، فلقد توجهت الصهيونية باسطورتها أيضا الى البيئات المسيحية البروتستانتية مستغلة تعلقها الدينى بالعهد القديم .

ويذكر « مكسيم رودنسون » : يقرأ العهد القديم (فى اسرائيل) ويهاب ويدرس بتأمل ويعلم ، الامر الذى له نتائج ضارة ، فالذى يستوعب منه فى الاذهان فى الوضع الذى وصلت اليه اسرائيل اليوم ، وخاصة فى اذهان الاطفال ، هو ما يتعلق بمعارك الامة القديمة ضد جيرانها المؤابيين والكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم ، وتمجيد المذابح والابادة التى يريدها الرب ، والقيمة العليا التى تعطيها للامة (٥) .

فاذا أصطدمت الاعمال المنافية لكل قيم انسانية والتى يرتكبها القادة الصهاينة ضد السكان العرب مع قيم بعض اليهود وتراثهم الذى كونوه فى نضالهم من أجل المساواة والعدالة ، يستخرج القادة الصهيونيون ـ ومعظمهم لا دينيون ـ من نصوص التوراة ما يبررون به هذه الجرائم ، فاقامة دولة اسرائيل على ارض الغير وانتزاعها من أصحابها ، ليس أمرا مشروعا فحسب ، بل انه استجابة لمشيئة الرب ، فلقد وعد يهود بنى اسرائيل بأرض كنعان أى بأرض مملوكة

---

(٢) بيير ديميرون : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٣) يوميات هرتزل ، ترجمة مركز الابحاث ـ لبنان : بيروت ـ ١٩٦٨ المجلد الاول ص ١٩٦ من النسخة الانجليزية الصادرة عن مطبعة هرتزل وتوماس بوسلون بالولايات المتحدة بعنوان (اليوميات الكاملة لتيودور هرتزل) ١٩٦٠ ـ (أرقام الصفحات التى سنذكرها هى أرقام الصفحات فى النسخة الانجليزية).

لغيرهم وقادهم « الى مدن عظيمة لم تبنها ، وبيوت مملوءة بالخير لم تملاها ، وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها — وأكلت وشبعت » .

(العهد القديم — سفر التثنية — اصحاح ٦ ،الاية ١١)

وحين يطردون العرب من أرضهم يبررونه بما جاء فى سفر « **الخروج** » انى أدفع اليكم سكان الارض فتطردهم من أمامك ، لاتقطع معهم ولا مع آلهتهم عهدا .. لايسكنون فى أرضك لئلا يجعلوك تخطىء » .

(سفر الخروج ، اصحاح ٢٣ ، الاية ٢٢ و ٢٣)

أما المطامع التوسعية فيبررها « لنسلك اعطى هذه الارض نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات »

(سفر التكوين ، اصحاح ١٥ الاية١٨)

لقد كان هناك دائما يهود ربطوا دينهم عبر العصور بالعمل من أجل السلام وبالمثل الانسانية وأرجعوا كل ما حل باليهود من كوارث الى ما ارتكبوه من أعمال عنف . وفى هذا يقول الحاخام« **ماغنس** »عميد الجامعةالعبريةفى ١٩٤٨:

« سينزل بنا عقاب من الرب . اننا نعبد الذهب اذ نحن ننشر الدعايات المأجورة ونعبد الدم اذ نحن نبث الرعب بين الناس . وهذا لدى الرب حرام .. شعائرنا شاهدة على اننا كنا نلقى العقاب فى كل مرة فعلنا مثله » .

ولكن الصهيونية كان لابد ان تعتمد التفسير الذى يخدم أغراضها .

ويتحمل معظم رجال الدين اليهود فى اسرائيل مسئولية كبرى بسماحهم بل ومشاركتهم فى هذا الاستغلال البشع للدين اليهودى .

يقول « **ناتان هرفش** » فى صحيفة « نير » الاسرائيلية :

«ان رجال الدين قد ادارو ظهورهم لكل تحذيرات الانبياء والحكماء ضد القوة ، وأصبحوا أكثر الناس حماسا واعجابا بالجيش وبالروح العسكرية وبالاساليب المسلحة العنيفة ، أنهم بهذا يعطون الجيش الاسرائيلى شهادة الاثبات بأنه ينفذ تعاليم الدين اليهودى » (٦)

ولقد قام الحاخام الاكبر فى اسرائيل فى عام ١٩٥٦ بتسليم قائد العدوان على سيناء نسخة من التوراة قائلا للجنود : « انكم ستدخلون ترابا مقدسا .. لانه فى هذه الارض استلم معلمنا موسى الكتاب » (٧) .

ولقد أقام الحاخام الاكبر فى اسرائيل فى عام عن عدوان ١٩٦٧ عنوانا له من التوراة ، وهو « **اضرب يا صهيون** »

حجج تخاطب الضمير الانسانى

فى مقابل المشاعر الدموية التى يستثيرها الاعلام الصهيونى بين المتدينين من جماهير اليهود فى العالم ، بضرب الاعلام الصهيونى على الاوتار الانسانية للعالم المتحضر . وهنا تكون السلعة الاكثر رواجا للاعلام الصهيونى هى آلام جماهير اليهود ، خلال حركات الاضطهاد الدينى والعنصرى فى اوربا — وفى معسكرات الاعتقال النازية . وتقديم مخطط الاستيلاء على فلسطين بوصفه الوسيلة الوحيدة لرد كرامة هؤلاء المضطهدين وحماية ما يحملون من تراث هو جزء لا يتجزأ من التراث الحضارى للانسانية .

يقول « **ناحوم جولدمان** » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية :

« والى تلك الاهداف الواقعية — التى تتلخص فى انقاذ اليهود المضطهدين وتمكينهم من الحياة الجديدة فى بلد يملكونه — أضيف دافعا أكثر رفعة ، حرك أيضا أفرادا آخرين اشتركوا فى تأسيس الحركة ، وذلك الدافع هو الخوف من أن يتعرض النصيب اليهودى فى الحضارة البشرية — وأن تعجز العبقرية اليهودية الخاصة — بعد أن قدمت الكثير للانسانية — ان تعجز عن التعبير عن نفسها بأعمال خلاقة أصيلة ، وذلك بسبب بعثرة اليهود ومركزهم فى الاقلية واستيعابجزء من الطوائف اليهودية » (٨) .

ويقول مايز يعارى :

« فى هذا الوقت (١٩٣٦) كان التهديد النازى للجماهير اليهودية فى اوربا يتخذ شكلا يزداد

---

(٦) ناثان هرفش « الحاخامبون »والجيش » جريدة « نير » يناير ١٩٥٦ .
(٧) نيويورك تايمز الامريكية ١٩٥٦/١١/٤ .
(٨) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ص ٦٩٥ .

خطورة على مرور الايام · وأصبح من الواجب انقاذ هؤلاء اليهود المضطهدين انقاذا سريعا ، وتمكينهم من اعادة تجميعهم فى وطنهم التاريخى » (٩)

وعلى نفس المنوال يقدم الاعلام الصهيونى النزاع العربى ـ الاسرائيلى باعتباره نزاعا بين عنصرين يحاول فيه « العنصر العربى » ابادة « العنصر اليهودى » يقول شيمون بيريز :

« ان الامر بالنسبة لهذه البلاد (البلاد العربية) لا يتعلق بالبحث عن الاستفادة بمزايا سياسية او اقتصادية مثل الحصول على قطعة من اقليم او على حقوق على جزء من نهر ، او تحويل نظام سياسى او اتجاه سياسى · بل يتعلق الامر بعملية جذرية هى القضاء النهائى على شعب ودولة · ومثل هذا الموقف الذى تقفه البلدان العربية يؤدى الى تحويل النزاع السياسى العربى الاسرائيلى الى نزاع يكاد أن يكون من النوع البيولوجى » (١٠) ·

كما يسرف الاعلام الصهيونى فى سرد العلاقات التاريخية لليهود بأرض فلسطين وتعلقهم بها ، بينما لا يتوقفون لحظة لمناقشة علاقات شعب فلسطين العربى بها ·

فتارة هم يعلنون :

« لم يكن ابدا كيان تاريخى باسم فلسطين (١١) ·

وتارة يصورون شعب فلسطين كمجموعة من القبائل النازية لفلسطين والوافدة من البلاد العربية المجاورة بحثا عن مجال ، فيقول بن جوريون : « هل يفتقر العرب الى مجالات ؟ هل تنقصهم الاراضى التى تمكنهم من استيعاب اللاجئين؟ » (١٢) ·

وبذلك تقدم الصهيونية نفسها الى الراى العام العالمى كحركة تحرير لارض مغتصبة . فاعلان قيام الدولة الصهيونية هو « اعلان الاستقلال » · وعدوان ١٩٤٨ هو « حرب الاستقلال » · وحرب السويس عام ١٩٥٦ هى « تحرير للمناطق المحصورة بين سيناء الجنوبية وقمة البحر الاحمر » (١٣) ، كما تصاغ أخطر النوايا التوسعية تحت شعارات « اسرائيل التاريخية » و « التعامل بين الشعب والارض ، واستغلال كل ما يثيره التطور العالمى من قضايا · من ذلك قول « ناحوم جولدمان» مبررا الاطماع الصهيونية فى الارض العربية :

« انه لامر سيء من الناحية الاخلاقية كما انه من الناحية التاريخية مصدر للاضطرابات والصدام ان تمتلك بعض الدول اراض شاسعة غير مأهولة ، فى حين أن دولا أخرى مغلقة فى مساحات صغيرة كثيفة بالسكان ، تعجزها عن أن تضمن لهم حياة لائقة · ونحن نجد نفس الوضع فيما يتعلق بالنزاع اليهودى العربى فى فلسطين » (١٤) ·

حجج تخاطب اليسار

لما كان من المعروف أن اليسار يعارض الاضطهاد العنصرى ، ويناضل من أجل الديمقراطية ، ويناصر الحركة العمالية والدول الاشتراكية ، ويحارب التخلف والنظم الرجعية ، تتقدم اليه الصهيونية ودولتها بالثوب الذى يماثل الميول اليسارية جميعا ·

فالصهيونية تقوم على انها هى الحل لمشكلة « اللاسامية » . يقول هركابى : « لقد أسهمت الصهيونية بنصيب أساسى فى حل المشكلة النازية للاسامية ، تلك المشكلة التى سوف تستمر قائمة طالما أن اليهود يشكلون أقلية بين الامم » (١٥) ·

وباسم انتصار الديمقراطية على الفاشية تفرض الصهيونية لنفسها الحق فى فلسطين ، فتقول جولدا مائير فى خطبة لها فى اجتماع الاتحاد العام للعمال اليهود فى ١٢ من سبتمبر عام ١٩٤٦ موجهة الحديث الى حكومة العمال البريطانية : « ليس هذا الذى نطلبه بكثير عليكم · ان الشعب اليهودى يطالب بأن يكون لنا الحق فى

---

(٩) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ص ٦٧١
(١٠) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ص ٥٠٧
(١١) ايجال آلون ـ جريدة الاتحاد الاسرائيلية ١٩٦٧/٢/١٧ ·
(١٢) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ص ٥٢١
(١٣) بن جوريون فى خطاب اعلان الهجوم الاسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ ـ جريدة نيويورك تايمز الامريكية ١٩٥٦/١١/٨ ·
(١٤) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ص ٢٩٦
(١٥) مجلة الازمنة الحديثة : العدد الخاص ، ص ٤٧٦

وطن · فى مكان خاص بنا ، كنتيجة لهذه الحرب ولانتصار الديمقراطية على الفاشية والنازية · اننا لا نطالب بالاحسان ولا بالاشفاق » (١٦) ·

ولهذا الهدف كان لابد من ابراز العرب كانصار للفاشية ، فتقول مجلة « اقلية الفرد The Minority of One الامريكية فى عددها الصادر فى اكتوبر ١٩٦٧ : « ولكن احدا لا يستطيع ان يقلب السجل العربى الخاص بالتعاون مع النازيين مقابل سجل يهود فلسطين فى النضال البطولى ضد النازية » ·

وتتكلم الصهيونية باعتبارها « حركة عمالية » · تقول **جولدا مائير** فى مجلة « **دافار هابوبليت** » بتاريخ ٣ مايو عام ١٩٣٩ : « ان الحركة العمالية فى هذا البلد ، بل والطائفة اليهودية كلها فى هذا البلد لتعلم تماما انه لا يوجد سوى طريق واحد نضمن به للامهات اليهوديات مستقبل أولادهن وهو أن ننقذهن من جهنم التشتت ونأتى بهن هنا الى هذا البلد » (١٧)

وفى شهادتها باسم الحركة العمالية اليهودية أمام لجنة التحقيق الانجلو امريكية فى ٢٥ مارس ١٩٤٦ ، قالت : « تم التصريح لى باسم ما يقرب من ١٦٠٫٠٠٠ عضو لاتحادنا بأن أقول ، فى أوضح ألفاظ ممكنة ، بانه لا يوجد شىء ليست الحركة العمالية مستعدة للقيام به حتى نقبل جماهير واسعة من المهاجرين اليهود فى هذه البلاد دون قيود ، ودون أية شروط مهما كانت » (١٨)

وفى تجاهل كامل لكل التطورات التى طرأت على موقف الدول الاشتراكية من الصهيونية ومخططاتها ، تتذرع الصهيونية ـ فى تقديم نفسها لليسار ـ بأن الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، قد أيدوا مطالبتهم باقامة دولة لهم فى فلسطين ·

واسرائيل ، من جانب آخر ، هى « واحة الاشتراكية والديمقراطية والتقدم » وسط صحراء من النظم الرجعية والدكتاتورية والتخلف تقول **جولدا مائير** فى خطبة لها بنادى الصحافة القومية الامريكى فى ١١ ديسمبر ١٩٥٦ ، اى بعد العدوان الثلاثى (حرب السويس) مباشرة : « لقد كانت القاعدة السائدة فى هذه المنطقة هى وجود الدكتاتورية والاضطهاد والنظم الاقطاعية ، ولم تزدهر الديمقراطية فيها أبدا ، ووسط الثروة البترولية الواسعة تعيش الجماهير العريضة للشعب فى حالة كاملة من البؤس والفقر · هنا حدث أن ولدت اسرائيل مرة أخرى ، منذ ثماني سنوات فى وطنها القديم ، أمة قدمت نفسها كلها للديمقراطية والسلام والتقدم » (١٩)

يتساءل « **دوف بارينز** : » ماهي اذن الخدمة التى قدمناها للاستعمار سوى طرده من هذه القطعة من الارض ، وهو طرد يطابق ـ على أية حال ـ أفوله فى البلاد العربية المحيطة ؟ » (٢٠)

أما السلام والتعايش السلمى فهو المزمور الذى لايمل الاعلام الصهيونى من ترديده · ودعاوى القوم فى هذا الشأن هى نموذج « للسلام الرومانى » القائم على فرض الامر الواقع مهما كان ظالما أو جائرا ·

حجج تخاطب اليمين

وتزخر ترسانة الدعاية الصهيونية ، فى نفس الوقت ، بحجج هامة لمخاطبة اليمين ·

يقول بن جوريون : « عندما يفكر أحد رجال الدولة ، أو السياسة فى الصهيونية اليوم فهو لا يفكر بطريقة الانبياء والمبشرين والمسيحيين والشعراء ، وانما يفكر بالارتباط بعناصر مادية جدا هى البترول والدولة اليهودية فى فلسطين ، والشرق الاوسط وروسيا وأمريكا » (٢١)

واذا كان « **هرتزل** » قد قدم مخططه الصهيونى لاوربا ، قائلا : « بالنسبة لاوربا سنكون هناك (فى فلسطين) حصنا من الحصون الامامية ضد آسيا ، ويمكننا ان نشكل الديدبان الطليعى للحضارة ضد البربرية » ·· فان الاعلام الصهيونى لايألو جهدا فى تقديم اسرائيل كجزء لا يتجزأ من الغرب ومصالحه ·

كتبت مجلة « **هاتسوفيه** » : « يمكن للمرء أن يلاحظ أن ثمة تباينا بين نيكسون وجونسون · لقد

---

(١٦) Golda Maeir: This is Our Strength, New-York, 1962, p. 26.
(١٧) جولدامائير : المرجع السابق ص ٧
(١٨) جولدامائير : المرجع السابق ص ٨١
(١٩) جولدامائير : المرجع السابق ص ٧٨
(٢٠) مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٤٤٤
(٢١) ب · واستريا : من السويس الى العقبة (بالفرنسية) ـ كوياس ـ باريس ـ ص ٤

أصر جونسون على مقترحاته الخمسة الواضحة لانه كان يعرف أن الجيش الاسرائيلى لا يدافع عن اسرائيل وحدها ، بل يدافع كذلك عن مصالح العالم العربى » (٢٢)

ويستقى « **اليزير يعارى** » من الترسانة الفكرية للامبريالية احدى مقولاتها المبتذلة ، داعيا المعسكر الاستعمارى الى التدخل السريع والكامل الى جانب اسرائيل معلنا :

« أن الاتحاد السوفيتى يستغل النزاع اليهودى ـ العربى لتقوية هيبته فى البلدان العربية » (٢٣).

كما تنشر جريدة « **هايوم** » الاسرائيلية خطابا لرئيس ادارة حزب الاحرار وعضو الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) يقول فيه : « علينا أن نشرح للرأى العام العالمى فى الغرب،وفى أمريكا أن القضية ليست قضية خلاف بين اليهود والعرب . وانما هى محاولة سيطرة روسية على المنطقة بأسرها ، وأنه لا يمنع هذه السيطرة سوى وقوف اسرائيل قوية وسدا فى وجهها » (٢٤)

واذ قضى على الثورة الاساسية للاسامية بهزيمة النازية الالمانية يلح دعاة الصهيونية على ابراز البلاد الاشتراكية باعتبارها موطنا لاضطهاد اليهود حتى يمزجوا بين العطف عليهم وبين كراهية الاشتراكية . من ذلك تنظيم الحركة الصهيونية لـ « أسبوع يهود الاتحاد السوفيتى » وتنظيم حملة فى المدارس عن « تاريخ اليهود فى روسيا بعد ثورة ١٩١٧ » .

واذا كانت صرخة « **دوف بارنير** » التالية تهدف الى استثارة التعصب القومى لدى اليمينيين : « هذا حقى فى الارض ، وحقى فى طبقة فلاحية وأخرى عمالية تكونان لى ، حقى فى الاتزان العقلى ، حقى فى الوطن ، بروح انسانية وعالمية » (٢٥) ، فان التباهى بالقوة والانتصارات العسكرية يتحول الى حجة جديدة وقوية فى يد الاعلام الصهيونى فى مخاطبة اليمين . ان حجة « **ليفى أشكول** » فى كسب المساندة الامريكية هى ان اسرائيل أقوى دولة فى المنطقة لم تكن وليدة الزهو بانتصار ٦٧ فحسب ـ بل لقد سبق أن كتب « **مجدلانى** » فى الازمنة الحديثة قائلا :

● وسيز مندلسون ●

[١٧٢٩ ـ ١٧٨٦]

فيلسوف المانى ، مترجم العهد القديم من العبرية الى الالمانية ومفسر له . وبذلك بدأ مرحلة جديدة فى تاريخ اليهودية . وكان من اوائل الذين طالبوا بتحرير اليهود .

كان مندلسون يجمع فى وقت واحد الانتماء الى اليهودية والى الامة الالمانية . وكان يجهد لتعليم ابناء دينه اللغة الالمانية وبذلك يعدهم لتقبل الثقافة الجرمانية . ولقد بدأ يترجم التوراة الى الالمانية من أجل ابنائه خاصة ، ثم قرر ان ينشرها باسمه وعلى نفقته .

ولقد كان لهذه الترجمة اثر فعال فى جعل اليهود يشاركون فى حركة التقدم المعاصرة ، وولدت فيهم الرغبة القوية لتبنى القومية والثقافة الالمانيتين وبدأت معهم عهدا جديدا فى مجال تعليم الصغار ونظام المدارس اليهودية . ■

« اذا كان هذا النصر (يقصد عدوان ١٩٤٨) لم يبرهن على أحقية اسرائيل فى هذه الارض ، فانه قد تمكن من أن يقدم البرهان فعلا على أن اسرائيل مستعدة للقتال والموت من أجل ما تعلم بأنه المركز الحالى لتاريخها » (٢٦)

وبعد ، فماهذه سوى عينات من دعاوى الصهيونية . ولما كانت معظم هذه الدعاوى تعتمد على مغالطات تاريخية واجتماعية وسياسية ، سواء بالنسبة لتاريخ اليهود أو لتاريخ شعب فلسطين ، فلابد ـ والحال كذلك ـ من أن نجلو بعض هذه الدعاوى قبل أن نكشف عن حقيقة الصهيونية .

الصهيونية ردة فى حركة الاصلاح الدينى اليهودى

كما شهدت المسيحية حركة **الاصلاح الدينى اللوثرى** ، وكماشهد الاسلام حركة الاصلاح الدينى على يد **الحركة الوهابية وجمال الدين الافغانى فى المشرق ، وعلى يد عبد الحميد بن باديس فى المغرب العربى** ، وغيرهم ، بغرض تخليص العقيدة الدينية من الجمود الذى سيطر

---

(٢٢) الاهرام القاهرية ـ ١٩٦٩/٢/٢٨ .
(٢٣) مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٨٧٠
(٢٤) هايوم الاسرائيلية ـ ١٩٦٨/١٢/٤
[٢٥] مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٤١٤
[٢٦] مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٢٨١

عليها في عصور الاقطاع المظلمة ، كذلك شهدت اليهودية ، منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بدايات حركة اصلاح دينى شامل كانت تتناول — بالتحديد — تلك الاساطير التى اعتمدت عليها الصهيونية لتبرير حركتها ، خاصة اسطورة ارض الميعاد فى فلسطين .

ولقد اوردت « **الانسيكلوبيديا اليهودية** » المطبوعة فى بدايات هذا القرن ، عددا هاما من الوقائع ، تكشف تلك الحقيقة التى يبذل الصهيونيون قصارى جهدهم لاخفائها . وسوف نكتفى هنا بتسجيل نص ماأوردته الانسيكلوبيديا اليهودية عن مؤتمرات الحاخاميين ، وحركة مندلسون ، وغيره من الاصلاحيين . وعن علاقة الصهيونية بالدين اليهودى وحركة الاصلاح فيه .

مؤتمرات الحاخاميين

كان الدافع الى عقد مؤتمر الحاخامات الاول هو ظروف حياة اليهود التى أصابها التغيير فى أوائل القرن التاسع عشر نتيجة تحررهم من قوانين الاقطاع وما لازم ذلك من المصالحة والتوفيق بين العقائد الدينية وطقوسها من جهة ، وبين مطالب الواقع الجديد الذى كانوا قد ولجوه .

ولقد انعقدت خمسة مؤتمرات ذات وزن ، خلال المرحلة الممتدة من عام ١٨٤٤ حتى عام ١٨٨٥ ، حضرها كلها معظم حاخامات الاصلاح البارزين حينئذ فى ألمانيا وامريكا . وانتحت مداولات تلك المؤتمرات ، والقرارات التى تمخضت عنها ، فصلا هاما من فصول تطور العقيدة اليهودية .

كان الهدف من **المؤتمر الاول** (المنعقد خلال الفترة من ١٢ — ١٩ يونية ١٨٤٤) دراسة وسائل وسبل الحفاظ على اليهودية وبعث الروح الدينية .

بينما اثار **المؤتمر الثانى** التساؤل عما اذا كان يجب حذف الصلوات من أجل رجوع اليهود الى أرض آبائهم ، ومن أجل اعادة الدولة اليهودية من طقوسهم الدينية .

اما المؤتمر الثالث (من ١٣ — ٢٤ يوليو ١٨٤٦) فقد اتخذ عددا من القرارات الهامة بالنسبة لمواضيع مثل السبت والاجازات والختان وتقاليد الحداد .

ولقد وافق **المؤتمر الرابع** (الذى عقد فى فيلادلفيا من ٣ — ٦ — ١١ — ١٨٦٩) على الصياغة التالية للمبادىء :(٢٧)

① لم يكن قصد اسرائيل اعادة اقامة الدولة اليهودية القديمة على يد أحد خلفاء داوود ، الشيء الذى يستلزم انفصالا عن أمم العالم ، بل كانت الغاية التى تهدف اليها أن يتحد جميع أبناء الله فى الاعتراف بوحدة الله لكى تتحقق وحدة جميع المخلوقات العاقلة ، ودعوتهم الى التطهر الخلقى .

② نحن نصبو الى اجتثاث الكمنولث اليهودى الثانى ، ليس كعقاب لخطيئة اسرائيل بل كتحقيق للمشيئة الالهية التى تكشفت لابراهيم ، وهى المشيئة التى تتجسد فى تشتت اليهود فى جميع أرجاء العالم لكى يحققوا رسالتهم التبشيرية العظمى وليقودوا الامم الى معرفة الله وعبادته بطريقة صحيحة وسليمة .

③ ان التبشير والديانة الموسوية ليسا سوى خطوات أولية وتمهيدية لتوصيلها الى جميع أفراد الشعب ، وهو ما بدأ تحققه بتشتت اليهود ، واحتمال التضحيات فى سبيل تكريس الحياة وتطهير النفس . هذان الشيئان ، وحدهما ، هما اللذان يدخلان السرور الى قلب الله العلى ، وهما وحدهما اللذان يحوزان قبوله . ولقد كانت هذه التقاليد التى تفتح الطريق لحياة التقوى ترتبط بالماضى ثم انقضى عهدها بتخريب المعبد الثانى . وبهذا المعنى فقط ، أى باعتبارها عوامل تربوية ترتبط بالماضى — يتحتم أن نذكرها فى صلواتنا .

④ ان اختيار اسرائيل كشعب عتيدة ، وكحامل للفكرة العليا للانسانية ، يجب أن يستمر التأكيد عليه .

وفيما يلى بعض القرارات التى اتخذها المؤتمر الخامس (المنعقد فى بتسبرج « لينجراد حاليا » من ١٦ الى ١٨ نوفمبر عام ١٨٨٥) :

---

(٢٧) راجع الوثيقة التى طبعها المجلس القومى للسلام فى مصر نقلا من Jewish Encyclopedia, t IV, 1906, p. 211, ff.

① نحن ندرك أنه فى كلّ جهد يبذلّ لمعرفة الروح المطلق وانه فى كل أسلوب ومصدر أو نظرة للوحى ، نؤمن بقدسية أى دين ، وعيا بحلول الله فى الانسان ...

② كما ندرك أن التشريع الموسوى نظام لتدريب الشعب اليهودى على رسالته أثناء حياته القومية فى فلسطين . ونحن لا نقبل اليوم من هذه الشريعة الا قوانينها الاخلاقية، ولا نحافظ الا على الطقوس التى ترتفع بحياتنا وتطهرها ، ونرفض كل ما لا يتمشى مع الاراء والعادات التى تحملها الحضارة العصرية .

③ ونعتقد أن جميع القوانين الموسوية التى تنظم الغذاء والنقاء الكهنوتى قد انبثقت خلال العصور وتحت تأثير أفكار غريبة تماما عن حالتنا الفكرية والروحية الحالية . وهى لا تستطيع أن تمد اليهودى المعاصر بنفحة من النقاء . ولذا فان تنفيذها ، والسير بمقتضاها ، من شأنه أن يعوق أكثر مما يعزز القيم الروحية .

④ ونحن نرى فى عصرنا الحالى — عصر الثقافة العالمية للعقول والقلوب ، اقترابا من تحقيق أمل اسرائيل الاكبر فى اقامة مملكة الحق والعدل والسلام بين جميع الناس . ولا نعتبر انفسنا بعد الان أمة أو دولة وانما مجتمعا دينيا . ولهذا لا نقبل الرجوع الى فلسطين ولا العودة الى أى قانون من القوانين التى تتعلق بالدولة اليهودية .

⑤ نحن نرى فى اليهودية دينا تقدميا يعمل جاهدا لكى يساير بدهيات العقل. ونحن نرى أن الحفاظ على شخصيتنا، التى كنا نتميز بها فى ماضينا العظيم ، من الزم الضروريات ، كما أننا نقدر الرسالة الالهية للمسيحية والاسلام — وهما أبنان لليهودية — لنشر عقيدة التوحيد . ونعترف بأن روح الانسانية المترامية الاطراف فى عصرنا هذا ، تقف الى جوارنا فى تحقيق رسالتنا ولهذا نمد أيدينا لكل من يعمل معنا فى اقامة دين الحق والعدل بين الناس .

⑥ مع التسليم التام بروح الشريعة الموسوية التى تجاهد فى سبيل تنظيم العلاقة بين الاغنياء والفقراء، نعتبر أن من واجبنا أن نشارك فى العمل الكبير الذى يجرى فى وقتنا الحالى لايجاد حلول تستند الى الحق والعدل للمشاكل التى تطرحها تناقضات وشرور التكوين الحالى للمجتمع الانسانى (٢٨) .

اليهودية الاصلاحية

نعنى باليهودية الاصلاحية تلك المرحلة من الفكر اليهودى الدينى التى وجدت تعبيرها الاول فى المذهب والنظام الدينى اللذين وجدا فى بعض المعابد الالمانية . ولقد انتقلت تلك الاصلاحية الى الولايات المتحدة الامريكية حيث جرت عليها سنة التطور . وتم هذا عشية رحلة « مندلسون » وكنتيجة للجهود التى بذلت أثناء الخمسينات من القرن التاسع عشر لتحقيق التحرر المدنى والسياسى .

● نبذة تاريخية ●

رغم ان الحركة الاصلاحية اليهودية ترجع الى بدايات القرن التاسع عشر ، فلابد من تتبع بداياتها الى التغييرات الجذرية التى طرأت على حياة اليهود خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر .فلقد انعكس أثر جهود الاعتاق السياسى والثقافى والاجتماعى والدينى أكثر ما انعكس على اليهود الذين كانوا منقطعين تماما عن العالم فى احيائهم « الجيتو » التى اضطروا الى الانزواء فيها لقرون عديدة .

لقد تضافرت عدة عوامل على اخراج اليهود من هذا الواقع ، فى مقدمتها الثورتان الامريكية والفرنسية اللتان نبهتا اليهود الى حقوقهم السياسية . وكان من أثر التعاليم التى انبثقت عن هذه الصراعات أن زال بالتدريج عجز اليهود السياسى ، وعلى وجه الخصوص فى فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا .

ولقد اوجد مجهود « مندلسون » فى المجال التربوى الحافز على مجاراة اليهود للحياة الثقافية ، وفتحت ترجمته الكاملة لاسفار موسى الخمسة الى الالمانية ، الابواب التى قادت اليهود الى كنوز الثقافة العالمية .

وفيما يتعلق بهذا لا يمكن التغاضى عن الاثر الذى أوجده تأسيس المدارس التى كان يتلقى فيها ابناء اليهودية التعاليم الدنيوية .

---

(٢٨) المصدر السابق ، الموسوعة اليهودية الجزء السادس .

يرتكز التناقض بين اليهودية الاصلاحية واليهودية المحافظة على **مفهوم دور اسرائيل** ان النظرة اليهودية الارثوذكسية لا ترى فى فلسطين مجرد المهد . وانما المآل النهائى لليهودية ، اذ يرتبط الاستيلاء عليها بامكانية تطبيق الناموس بعد تعطيل أجزاء الشرعية المقدسة المشروطة بوجود المعبد واحتلال الارض المقدسة . فلا يعتبر من يخالفون تلك الاجزاء منتهكين لارادة الله طالما هم بعيدون عن فلسطين . لقد انزل الله الناموس وحكم على اليهود بالتشتت ، وللتوفيق بين التناقض بين أوامر الناموس وبين الواقع التاريخى ، تعتبر الفلسفة الارثوذكسية استحالة تطبيق الناموس عقابا آلهيا لاسرائيل على خطاياها . فاسرائيل الان فى المنفى : لقد طردت من أرضها . فالمرحلة الحالية اذن مرحلة اختبار لا يعرف مداها الا الله . وعلى اسرائيل أن تنتظر ، فى صبر ، على حالة النفى ، وأن تقيم الصلوات ، وأن تأمل فى مجىء المسيح الذى سوف يجمع شتاتها ويجمعه فى فلسطين ، حيث يعاد بناء الهيكل ، وحيث تعود الحياة الى النظام الكنسى ، وتصبح اسرائيل — مرة اخرى — دولة مستقلة تحافظ على نصوص ناموس الرب كما ورد فى أسفاره الخمسة ، بينما يقوم السلام والعدل بين سكان الارض مع توبة اسرائيل ، وتتحقق نبوءات الانبياء فى أبهى مجدها .

ولابد أن تكون اسرائيل ، فى وقتنا هذا، على أهبة الاستعداد ، اذ أن التوبة ستتم بطريقة معجزة . ولكى تبقى اسرائيل على شخصيتها مصونة ، يجب عليها أن تحافظ على الاسوار التى اقامها الناموس حولها ليميزها وليعزلها عن الامم — بل اكثر من ذلك عليها أن تعزز تلك الاسوار ، كما يجب تقوية الحنين الى فلسطين باسترجاع الذكريات عنها ، كذلك لابد من حماية الناموس نفسه باحاطته بسياج متين .

● العلاقة بالقومية ●

أما الاصلاحية فلا تربط بين رسالة اسرائيل وقدرها وبين العودة الى فلسطين واستعادة الكيان القومى والسياسى تحت حكم ملك واعادة بناء الهيكل والعودة الى ممارسة طقوس تقديم القرابين . صحيح أن كثيرا من تعاليم التوراة يستحيل على اسرائيل تطبيقه اذ لم توجد على أرض فلسطين ، الا أن استحالة اطاعة الناموس لا تقع تبعتها على اسرائيل . فهى ليست فى المنفى ،وتشتتها كان تجربةضرورية لتحقيق وتطبيق مهمة الخلاص الملقاة على عاتقها .وليس مفروضا عليها أن تنتظر تحقق معجزة مجىء المسيح ؟ فاسرائيل نفسها هى شعب المسيح الذى فرض عليه أن ينشر — بصموده واخلاصه — العقيدة التوحيدية فى كافة أرجاء الارض ، وأن يكون مثالا للاستقامة أمام الجميع . وليست القرابين والكهانة المرتبطة بالمفهوم القومى السياسى لمهمة اسرائيل عناصر لازمة للديانة اليهودية . بل على العكس ، فلقد زالت مع كل امتيازات الكهنة والتزاماتهم ، فكل يهودى كاهن ، فرد من الشعب المقدس ، ومن مجتمع الكهنة الموكولة اليه مهمة الخدمة فى مذبح الانسانية المثالى . وهدف تاريخ اليهودية ليس دولة دينية فى فلسطين ، وانما الهدف تحقيق مبادىء الحق فى المجتمع والدولة ، تلك المبادىء التى أرساها الانبياء والحكماء القدامى .

لهذا تخلت اليهودية الاصلاحية عن الاعتقاد فى مسيح انسان . وأحلت محله عقيدة رسالة اسرائيل التى ستتحقق فى عهد العدل والسلام العالميين . وتتغاضى اليهودية الاصلاحية عن وعى — وليس فقط أضطرارا — عن قوانين أسفار موسى الخمسة التى تشير الى القرابين والكهنوت أو الى فلسطين — وهى تزيل من كتاب الصلوات كل اشارة الى المسيح والعودة الى فلسطين ، وتجديد النظام القومى الكهنوتى ، وتكف عن اعلان أنها فى المنفى ، اذ ليس هناك سبب يدعو اليهودى المعاصر فى أمريكا أو انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو ايطاليا الى الشعور بأن البلد الذى يقيم فيه أرض غريبة عنه . فبعد أن يصبح اليهودى أمريكيا أو ألمانيا .. الخ لا يصبح فى مقدوره ان يدعو لنفسه ولابنائه أن يصبحوا بالنعمة الالهية مواطنى دولة أخرى وأرض أخرى هى اسرائيل المقامة فى فلسطين .

ولقد ولدت حركة الاصلاح الدينى الكثير من المفكرين اليهود الذين عارضوا العودة الى فلسطين نذكر منهم على سبيل المثال «هيرش» وهولدهيم .

● افكار صموئيل هيرش الرمزية ● (١٨١٥ — ١٨٨٩) :

عالج القضية من زاوية رمزية . فهو — كأستاذه هيجل — يعتبر التاريخ عملية وحى آلهى . لكنه عاد فعارض كلا من « باول » و « هيجل » و « كانت » كما عارض أغلبية حاخامات الاصلاح — فأكد أن اليهودية ليست ناموسا وأنما هى مجموعة من الحقائق تجد تعبيرها فى اسرائيل من خلال عبقرية انبيائها ، كما يقع على اسرائيل عبء تطبيق هذه الحقائق ، وضرب المثال أمام جميع العالم . وينحدر هذا الالزام وهذه الوظيفة من الاب الى الابن ويتم فرضهما منذ الولادة .

فالشرائع ـ عند هيرش ـ رموز تستهدف توضيح الحقائق التى تؤتمن اسرائيل على صيانتها ، وهى عوامل تساعد على ابقاء الوعى اليهودى يقظا · وطالما بقيت الرموز حية وغير متحجرة ، فلن يجرى عليها الاهمال ، فهى تفقد قيمتها،وتفقد الحاجة الى الابقاء عليها عندما تذهب الى زوايا النسيان · اذ أن الحياة والتطبيق العملى ، وليس الناموس أو التعود على الافعال ، هما اللذانيحددان أيا منالطقوس تجبممارسته، فلا مناص من ايجاد التوافق التام بين النظرية وبين الواقع ·

ومع هذا كانت بعض الرموز تعبر عن وحدة اسرائيل · ولابد أن تحظى مثل هذه الرموز (الايام المقدسة ـ السبت) بعناية فائقة وباهتمام عميق فى برنامج المعبد اليهودى

ويرتكز الاصلاح عند « **هيرش** » على أساس أن الطقوس ليست غاية فى ذاتها يؤدى القيام بها الى الثواب عليها ـ وأنما هى تعبير عن التعاليم الدينية · وكل الطقوس والامال التى تشير الى فلسطين كوطن قومى تتعارض مع مشاعر وآمال اليهود الذين تحرروا سياسيا ، فالذبائح الدموية كريهة بالنسبة للاراء الدينية الحديثة · ومن هنا فلا مكان لهذه الرموز القومية بعد الان فى ديانة اليهود المعاصرين ·

● **أفكار صموئيل هولدهيم** ● (١٨٠٦ ـ ١٨٦٠) :

وهولدهيم ، حاخام وكاتب المانى · كان قائدا للجناح المتطرف فى حركة الاصلاح · شارك فى مؤتمر الحاخامات فى برنسوفيك (١٨٤٤) وفرانكفورت (١٨٤٥) وبرسلو (١٨٤٦) حيث عرض آراءه التى تتلخص فى الفصل التام بين المؤسسات الدينية اليهودية وبين المؤسسات القومية اليهودية · وكان يرىأيضا أن القوانين فى الامم الحديثة لا تتعارض مع مبادىء الديانة اليهودية ، ولهذا فلابد أن تنظم هذه القوانين الزواج والطلاق بين اليهود ، وألا تقوم بهذه المهمة قوانين اليهود القومية القديمة ·

ولقد رأى كثير من المجتمعات اليهودية الالمانية فى هذا الموقف حلا لقضية الجمع بين الولاء لليهودية وبين الولاء لجنسيتهم الالمانية · والموسوية ـ كما جاءت فى التوراة ـ هى الديانة المستمرة لليهودية · ويوضح هولدهيم تهافت المتمسكين بحرفية التلمود · فبينما هم يتمسكون ببعض التعاليم ، نراهم يسلمون بامكان تعطيل بعضها ، ان الطقوس تفقد معناها وتصبح ميتة بمجرد أن تكف اسرائيل عن أن تكون فى حاجة الى حماية خاصة لما تتميز به من عقيدة التوحيد · وبمجرد أن يصبح جميع الناس توحيديين اخلاقيا لا تعود اسرائيل فى أى مكان معرضة للخطر من فقدان وحدانيتها الخاصة وتتوقف الحاجة الى تمايزها ·

لقد الح هولدهيم على التمييز بين العناصر القومية وبين العناصر الدينية او العالمية ، فمضمون الوحى كان ذا شقين · شق قومى وشق عالمى · والاول كان التزاما وقتيا · ولكن هذه الصفة الالزامية انتفت باختفاء الدولة والامة · اما العناصر الدينية العالمية فهى ملزمة لاسرائيل ·

الصهيونية

تعرف الانسيكلوبيديا اليهودية الصهيونية بقولها :

الصهيونية حركة تصبو الى تجميع لشعب اليهودى على أساس قومى فى وطن خاص بهم ، وهى ـ على التخصيص ـ الشكل المعاصر للحركة التى تبحث لليهود عن « وطن لهم فى فلسطين مؤمن قانونيا وجماهيريا » · وقد انشأ هذه الحركة « **تيودور هرتزل** » عام ١٨٩٦ ، ومنذ هذا التاريخ وهذه الحركة لها السيطرة على التاريخ اليهودى ·

الصهيونية مرفوضة من اليهودية الاصلاحية

يرفض الجناح الاصلاحى هذه العقيدة فقد قرر مؤتمر الحاخامات فى فرانكفورت (٥ ـ ٢٨ يوليو ١٨٤٥) ان يرفع من الطقوس « الصلوات من أجل العودة الى أرض الاباء ومن أجل استعادة الدولة اليهودية » · وأقر مؤتمر فيلادلفيا (٣ ـ ٦ نوفمبر ١٨٦٩) أن « الهدف الالهى لاسرائيل ليس هو أستعادة الدولة اليهودية القديمة تحت حكم احد خلفاء داود ، وهو ما يستلزم أن ينفصل اليهود للمرة الثانية عن أمم الارض ، وانما الهدف هو اتحاد جميع أبناءالله فى الاعتراف بوحدةالله بما يحقق وحدة جميع المخلوقات العاقلة ودعوتهم الى القداسة الروحية ·

ولقد أكد ذلك **مؤتمر لنسبرج** (١٦ ـ ١٨ نوفمبر ١٨٨٥) فيما يلى : « **نحن لا نعتبر أنفسنا منذ الان أمة ، وأنما نحن مجتمع دينى،ولهذا لا نقبل العودة الى فلسطين ولاالتعيد بالقربين وراءأبناء هارون، ولا استعادة أى من القوانين الخاصة بالدولة اليهودية** » ·

المعـــارضـــة

برزت المعارضة للصهيونية من عدة جهات • وكما كانت الصهيونية تضم بين صفوفها يهودا ذوى عقائد متباينة ، كذلك أتت المعارضة من عدة مصـــادر • ولقـد بقيت **اليهودية الارثوذكسية** فى أوربا فى البداية بعيدة عن الصراع لاعتقادها أنه بسبب عدم تطبيق بعض القادة للطقوس اليهودية ، كانت الحركة الصهيونية تقوم بعيدا عن اليهودية الايجابية • وكان الرأى أنها مفروضة على العناية الالهية ومعارضة للتعاليم الايجابية لليهـودية الارثوذكسية بالنسبة لمجىء المسيح . وفى روسيا لم يكتف الجناح المتطرف من الكنيست الارثوذكسى بمجرد الاحتجاج » بل نظم معارضة نشيطة كانت لها جريدة خاصة فى ولنا ، مما اضطر احـدى المكتبات التى افتتحها الصهاينة فى ١٤ ابريل عام ١٩٠٢ الى أن تغلق أبوابها لبعض الوقت ، وكان يطلق على هذه المعارضة « **الغرفة المظلمة** » .

ولقد أضفى بعض حاخامات أوربا علـى المعارضة جانبا أكثر اخلاقية • فيقول **الدكتور جدمان** ، ان اسرائيل منذ التيه أصبحت مجتمعا دينيا صرفا وقائدة للشعوب ، وان مهمتها التاريخية تكونت من معارضتها فكرة القومية وأنه اذا قامت اليهودية ببعث المحاولة لكى تصبح أمة للمرة الثانية ، فانها تكون فى طريقها الى الانتحار •

وفى رأى **جدمان** أن وظيفة اسرائيل تقوم على الطابع الذى استطاعت أن تضفيه على الانسانية • وهو يرى أن اليهودية قد تأقلمت فى كل مكان ، وأن صهيون ليس الا رمزا لمستقبلها ولمستقبل الجنس البشرى • وبهذا المعنى تستخدم الكلمة فى كتاب الصلوات • وأن الصهيونية الحقيقيـة لا يمكن فصلها عن مستقبل البشرية •

وبنفس الـــروح يصـوغ « **ك • كوهـر** » معارضتـــه للصهيونيـــة فـلا يسمى نفســـه عـــدوا للصهيـونيـــة وانمـــا هـــو يعتقـــد أن لليهودية مستقبلا آخر يمكن ان تحققه بطريقة ايجابية • فاليهودية بالنسبة له حقيقة دينية وكلت الى أمة كتب عليها أن تصل بين جميع الامم والنحل والفرق والاجناس البشرية • وواجبها أن تكون عاملا عالميا للبشرية ترتكز على نص الكتاب المقدس الذى يقول « ستكون لى منك مملكة من الكهنة وأمة مقدسه » •

ويقول « كوهر » أن رسالة اليهودى ليست

■ تيودور هرتزل ■
(١٨٦٠ — ١٩٠٤)

تيـــودور هـــرتـــزل

ولد فى بودابست . وعاش فى بيئة وعصر كان اليهود فيهما يمارسون حقوقهم السياسية والمدنية فى ظل حركة الاندماج التى بدأتها الثورة الفرنسية . ثقافتـه علمانية •• تخرج فى كلية الحقوق ، بدأ بممارسة الكتابة الادبية ثم عمل صحفيا ، ومؤرخو حياته يجمعون على أن محاكمة دريفوس الضابط اليهودى الفرنسى عام ١٨٩١ كان لها الاثر الحاسم فى توجيه اهتماماته للمشكلة اليهودية — ذلـك استشعر ان هذا الضابط اصطنعت ضده الادلة ظلما وادين بغير وجه حق لانه يهودى .

الكتاب الرئيسى الذى كتبه هو «الدولة اليهودية » او « دولة اليهود » . الفكرة الرئيسية فيه ان معاداة اليهودية ابدية وان الحل الوحيد هو تجميع اليهود فى بلد واحد يعيشون فيه وحدهم . وفى الكتاب يخطط لتحقيق المشروع عمليا .

ركز هرتزل نشاطه لاقناع حـــكام الدول بفائدة مشروعـــه • وهـــكذا قام باتصالات عديدة لدى سلطان تركيا وقيصر روسيا وقيصر المانيا ووزراء انجلترا . وفى كل هذه الاتصالات كان يعـرض خدمات دولته المقبلة لاى من هـــذه القوى . على ان حجة واحدة كانت تتردد على لسانه وهو يتفاوض مع هذه القوى الرجعية جميعا : ان مشروعـه سيخلص الدولة التى يتباحث معهـــا من اليهود النشطين فى الحركات التقدمية الثورية . كان يقول انه يقدم فـــكرة قومية اخلاقية كبديل للمبادىء الاشتراكية الثورية .

راس المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، الذى وضع برنامج الحركة الصـهيونية وبدأ انشاء مؤسساتها . وظل هرتزل على راس الحركة الصهيونية الى ان توفى .

ويقدم هرتزل مثلا نموذجا يجســـد الايديولوجية الصهيونية ، فهو مثقف يعبر عن مصالح الطبقة الراسمالية ويعـــادى التغيير الاجتماعى الثورى . وهو يخدم هذه الطبقة خدمة مزدوجة : يضع دولته المقبلة فى خدمة الدول الرأسمالية لتواصل نشاطها على الصـــعيد العالمى ، وفى نفس الوقت يعمل على ضرب الحـــركة الثورية بسحب احدى فصائلها النشيطة

ومازالت الدولة التى تاسست بعـــد ٥٠ عاما من المؤتمر الصهيونى الاول أمينة على الخطر الذى رسمه لها مفكرها الاول •

روحية أو دينية فحسب وانما هى - بالاضافة الى ذلك - رسالة اجتماعية وفكرية ، والصهيونية الحقيقية تطلب من اليهود أن يكونوا شهداء فى سبيل الحق والعدل والسلام الى أن يصبح السيد واحدا والعالم واحدا . وهو يرفض الفكرة القائلة بأن أرض اليهودية هى وطن اليهودى ، وهى الفكرة التى تجعل اليهودى فى كافة أرجاء الارض بلا وطن ، وتضفى على كل الدعاية حلما طوباويا ، اذ انه حتى لو أرادت تركيا فلن تسلم أية قوة من القوى المسيحية ، الارض المقدسة لليهود ، وأن لفلسطين أملا ضعيفا فى أن تصبح فى أى وقت دولة قائدة ، وفى أن تجتذب رأس المال اليهودى ، وان العناصر المتنافرة التى ستتكون منها دولة يهودية ستعمل ضد الاندماج المنسجم فى كمنولث كبير ، وأن مثل هذا الكمنولث لن يكون قادرا على الاستجابة الناجحة حيال القوى المعادية لها والمنظمة .

ولقد أعلن « **كلود مونتفوار** » أنه معاد تماما للخطة على أساس أن الصهيونية ستولد الشعور بالعداء للسامية وتزيده احتداما ، خاصة اذا نظر اليها على أنها هدف مجيد بدلا من اعتبارها ضرورة محزنة . وهو يعتقد أن على اليهود أن يخوضوا حربا شريفة والا ييأسوا ، بل أن يمارسوا التطهير النفسى والمعاناة ومقابلة الصعاب بشجاعة فى انتظار الوقت المناسب الذى ستجىء به الحضارة قريبا حين يعلن أخوتهم فى الوطن أنهم مثلهم .

ولقد انتشرت اتهامات كثيرة للصهيونية وخاصة فى ألمانيا . ولقد وصفت احدى المجلات ظهور جريدة الحزب (العالم) بأنه كان كارثة ، ووصل « **ج كاريلز** » الى حد القول بأن اليهودية لم تكن ديانة ، وانما هى « فكرة اخلاقية عن العالم وحقيقة تاريخية » (**العالم : نوفمبر ١٩٠٥**)

كذلك أصدر « **مايبوم** » (برلين) « **وفوجلشتين** » باسم اتحاد حاخامات اليهود فى ألمانيا احتجاجا على الصهاينة الذين وصفوا بأنهم « متعصبون أتوا من روسيا ، وطلبة صغار متهورون » . ولقد وضع المعارضون فى رسالة تمهيدية المبادىء التالية : ان اليهود لا يعدون أن يكونوا هيئة دينية - وان اليهود فى ألمانيا الذين قوميون على الرغم من أنهم بهذه الصفة يكونون موالين لديانة سيناء ، وطالبوا بأن تتضافر جميع الطوائف الالمانية فى الاحتجاج على الصهيونية السياسية والاثارة ضد دعاياتها - واصدار بيان جماهيرى من كل جمعيات الحاخامات والمعلمين ضد الحركة . ولقد انضم **الدكتور لدورفر** (**من هامبورج**) الى هذا الاحتجاج ، بينما عرض الدكتور **مير** (وهو محام من هانوفر) بالاضافة الى ذلك عقد اجتماع مناهض للصهيونية فى برلين يعلن فيه اليهود مشاعرهم الوطنية تجاه ألمانيا . وبهذا تسحب الارض من تحت أقدام الصهاينة . على أنه يبدو أنه لم يتم أى عمل مثل هذا على الرغم من أن الحاخام الاكبر فى انجلترا قد قام بمنع عدة حاخامات من التبشير بالصهيونية ، كما منع احد حاخامات الطائفتين الاسبانية والبرتغالية حاخاما آخر من الكلام عن موضوع الصهيونية بصفته الرسمية (١٨٩٩) .

احتجاج حاخامات ألمانيا

ظهر الاحتجاج الرسمى فى « الجريدة الالمانية لليهود فى ١٦ يوليو عام ١٨٩٧ ممهورا بامضاء مجلس الحاخامات . وجاء فيها :

أولا : ان محاولات الصهاينة لارساء أساس دولة قومية يهودية فى فلسطين تتعارض مع الدعوة اليهودية كما وردت فى الكتاب المقدس ، وفى الوثائق الدينية بعد ذلك .

ثانيا : ان اليهودية تطالب مثقفيها بأن يحترموا الدولة التى يعيشون فيها ، وأن يعملوا بكل وسيلة على تعزيز تأثيرها فى المجال الدولى .

ثالثا : لا توجد اية معارضة فى مشروع توطين مزارعين يهود فى فلسطين لان هذا المشروع لا علاقة له بتأسيس دولة قومية ، وبنفس الروح أعلن مؤتمر الحاخامات الامريكيين (المنعقد فى ريشموند فى آخر ديسمبر ١٨٩٨) معارضتهم الحركة الصهيونية كلها على أساس « ان امريكا كانت القدس ، وان واشنجطون كانت صهيون بالنسبة لليهود (كما جاء فى قول أحد الاعضاء)

● **لوسين وولف** ● ، ● **ولورى ماجنس** ● ومثل هذا الموقف غير المتهاون من الصهيونية اتخذه فى انجلترا « **لوسين وولف** » الذى لم يقف عند حد القول بأن البرنامج الذى وصفه هرتزل غير عملى ، وانما أضاف الى ذلك قوله : ان الدفاع عن المقومات التى بنى عليها هذا البرنامج متعذر ويرى لوسين أن اليهود من أصل آرى وأنهم ليسوا جنسا متفردا وان هناك خطرا من الصهيونية فى أنها الحليف الطبيعى والدائم للعداء للسامية ، كما أنها المبرر القومى لذلك العداء . ويرى ان الصهيونية محاولة لارجاع تاريخ اليهودية المعاصر الى

الوراء ، وانها « نظرة جاهلة وضيقة » الى قضية كبيرة .

نظرة جاهلة : لانها لا تأخذ بعين الاعتبار العنصر الحاسم للتقدم فى التاريخ .

وهى نظرة ضيقة الافق لانها تخلط بين ذكرى سياسية ومثل اعلى دينى »

ويقول وولف : ان رسالة اليهودى رسالة مندلسونية (نسبة الى مندلسون) ، وهى أن يضرب المثل للامم وان يتخذ موقفه على أساس من التسامح النبيل والعالمية الحقيقية .

كذلك انتقد لورى ماجنس بعنف الصهيونية من ناحية تاثيرها على وضع اليهود فى أوربا الغربية وامريكا . ويتلخص هذا النقد فيما يلى : ان الدكتور هرتزل ومن يقفون الى جانبه خونة للتاريخ اليهودى الذى قراوه وفهموه بطريقة خاطئة وهم انفسهم جزء من صانعى سياسة العداء للسامية التى يعترفون بانهم يذبحونها ، اذ كيف تستطيع البلاد الاوربية التى يعتزم اليهود تركها أن تبرر استبقاء اليهود ؟ ولماذا بذل اليهود مجهودات شاقة لكسب المساواة المدنية اذا كانوا هم انفسهم أول من سيتخلون عن مكانهم ، ويكتفون بكرم الضيافة (اراء حول القضايا اليهودية ص ٨ لندن ١٩٠٢) واليهودى الالمانى صاحب الاثر على الادب الالمانى يجب أن ينظر الى المانيا ـ كما تعود أن يفعل طوال نصف القرن الماضى ـ على أنها وطنه الام ، والى اللغة الالمانية على أنها لغته الاصلية ، وأن يضع آماله فى مستقبل تلك الامة . وكل رغبة فى أن يكون هو ومن يشابهونه فى الدين شعبا خارج نطاق المانيا هى ـ بغض النظر عن عدم امكانية تنفيذها عمليا ـ نكران تام لجميل الدولة التى يعيش فيها ، وهو حلم لا سبيل الى تحقيقه ، اذان اليهودى الالمانى المانى بكل خصائصه القومية وليست صهيون بالنسبة له سوى ارض الماضى لا ارض المستقبل .

ولم يجرؤ أحد من معارضى الصهيونية على ترديد ما قاله بيجر : « ان سحب الحقوق المدنية يبدو أنه الموقف الضرورى الذى يلزم أن يتخذه التشريع الالمانى ضد الصهيونية والرد الوحيد الذى يمكن أن يصدر عن الضمير القومى الالمانى » (صوت الحق ـ برلين ١٩٠٥ ، ص ١٦٥ وما بعدها) .

اعتراضات ثانوية

وبينما كانت مثل هذه الاشكال من النقد تلمس المبادىء الاساسية للصهيونية ، كان هناك شكل آخر من النقد يعالج التهم التى يشهد عليها الشعور العارم الذى اججه من كل جانب التقدم المتتالى للحركة الصهيونية . ولقد لخصت جريدة « **العالم الاسرائيلى** » المسالة فقالت :

« **الحقيقة الاساسية فى المسالة هى أن الصهيونيين والمعادين للسامية هما نفس الشىء** »

وتحدثت عن « أعداء السامية ـ أصدقاء هرتزل » (١٢ مارس ١٨٩٨) .

وكان الرحالة **ادوارد جلازر** يرى أن الحكومة البريطانية قد ساندت الصهيونية لتحطم تركيا ، ولتكون دولة عازلة .

كذلك قطعت المعارضة فى الولايات المتحدة شوطا بعيدا ، فقد كان **اسحق م. ويز** عميد كلية الاتحاد العبرية يرى أن الصهاينة كانوا « خونة ومنافقين ، أو اغبياء خياليين تتعارض افكارهم مع مشاعرهم وأفعالهم على طول الخط (جريدة الاتحاد العبرى ديسمبر ١٨٩٩ ص ٢٧) بينما **كتب الحاخام سامفيلد** فى « جويش سيكتاتور » يقول أن الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة . أما الاستاذ **لويس جروسمان** فكان يرى أن الاثارة التى يقوم بها الصهاينة تتعارض مع كل خصائص اليهود واليهودية وأن الحركة الصهيونية علامة من علامات عدم الاصالة ، وانها لا تنبع من قلب اليهودية وداخلها سواء فى الماضى البعيد أو فى عصرنا الحالى » (جريدة كلية الاتحاد العبرى ـ ديسمبر ١٨٩٩ ص ٧٢)

هنا يثور تساؤل هام : ماذا كان مستقبل هذه الحركة الاصلاحية ؟

لقد تضافرت عدة عوامل على اجهاض هذه الحركة وبالتالى على انجاح الحركة المعارضة لها منها(٢٩) .

١ ـ فمثلا ، لم توافق حكومة بافاريا على انتخاب دافيد بنهورن احد الاصلاحيين ـ حاخاما من مجمع **فيلهاوسين** عام ١٨٣٨ بسبب آرائه المتحررة ، فقبل منصب حاخام فى المجمع الاصلاحى فى بودابست فى أكتوبر عام ١٨٥٢ ولكن حتى حكومة النمسا عارضت حركة الاصلاح ، ورغم معارضة آينهورن وطلباته الشخصية ، فقد أغلق المعبد بعد فترة وجيزة وتوجه الى الولايات المتحدة حيث حضر مؤتمر الحاخامات عام ١٨٦٩ .

---

(٢٩) راجع النشرة التى أصدرها المجلس القومى للسلام فى ج.ع.م ص٧

٢ ـ أما العامل الثانى فهو خطط الاستعمار ،

ففى عام ١٨٥٢ طالب هولنجورت الانجليزى بانشاء دولة يهودية للمحافظة على الطريق البرى الى الهند (الموسوعة اليهودية ج ١٢ ص ٦٦٨) . **ويعتقد ادوارد جلازر أن الحكومة الانجليزية قد أيدت الصهيونية فى سبيل تكوين دولة عازلة** (الموسوعة اليهودية ص ١٢ ، ٦٧٤) .

٣ ـ وعامل ثالث هو **افتقار الحركة الاصلاحية الى التنظيم** . وما حدث فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن ، يوضح هذا العامل (جون دافيز : السلام المراوغ ، لندن ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ ـ ٢٧)

ولقد نصت المادة ٤ من قانون الانتداب على أنه يجب ايجاد « **وكالة يهودية** » توجه هيئة ادارة فلسطين وتتعاون معها . ولقد قامت المنظمة الصهيونية العالمية بهذه المهمة بين عامى ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ ، وفى عام ١٩٢٩ وافق المؤتمر الذى انعقد بين المنظمة الصهيونية وبين المجموعة غير الصهيونية على تكوين هيئة أخرى سميت الوكالة اليهودية من أجل فلسطين، وبمجرد ان بدأت الوكالة عملها رشحت المنظمة الصهيونية العالمية ممثليها فى الاجهزة الحكومية من أعضاء أجهزتها الادارية أو التشريعية ، بينما لم يكن لليهود غير الصهيونيين أى تنظيم عالمى ، مما دعاهم الى ترشيح الاشخاص بعد مشاورات ، وهو الامر الذى حال دون شغل جميع المناصب المطلوب شغلها، وبالاضافة الى ذلك ، لم يكن أمام مرشحى اليهود غير الصهيونيين سوى أن يكونوا مجرد متحدثين عن مجموعات غير صهيونية متفرقة لم تنسق سياستها فيما بينها ، وان يتصرفوا على أساس أحكامهم الشخصية .

ونتج عن ذلك أن الصهاينة الذين كانوا يعرفون ما يريدون ويحاربون بقوة لتحقيق ما يريدون كانت لهم اليد الطولى فى الوكالة منذ تكوينها الاول : وهكذا تقلص بالتدريج ـ دور العناصر غير الصهيونية ومع مرور الوقت أصبح أعضاء الادارات المنفذة كلهم من الصهاينة ، يضاف الى ذلك أن تكوين أجهزة الوكالة أصبح مع مرور الوقت مطابقا تماما للمنظمة الصهيونية، الامر الذى جعلها جزءين فى تركيب تنظيمى واحد .

الصهيونية والمشكلة اليهودية

عرفت البشرية فى تاريخها الحديث كثيرا من الدعاوى العنصرية التى قامت على أساس اللون أو الجنس ، ولكن الصهيونية قدمت نوعا من العنصرية يقوم على تعصب عرقى «فريد فى بابه» يزعم أن كل اليهود فى مختلف ارجاء المعمورة من نسل رجل واحد هو ابراهيم عليه السلام ، وترفض كل حقائق العلم والتاريخ هذه الفكرة المحورية للصهيونية .

لقد تعرضت اليهودية ـ كأى دين ـ لظاهرة تغيير دينى مزدوجة : فاعتنق كثير من اليهود الاسلام او المسيحية .. ومن المقطوع به ان جدود يهود فلسطين الاصليين قد تحول عدد كبير منهم الى المسيحية وعدد أكبر الى الاسلام . وكان اعتناق المسيحية ظاهرة عادية ومتكررة بين اليهود فى اوربا ، كما اعتنق كثير من غير العبرانيين الديانة اليهودية . وقد أشار جوفينال فى القرن الثانى الميلادى ، ودون باسيموس فى القرن الثالث ، الى العدد الكبير من الروم الذين تهودوا وختنوا أولادهم .

.. وفى محاضرة ألقاها عام ١٨٨٣ لاحظ المفكر **الفرنسى رينان** حادثة الخزر «ذلك الشعب الاسيوى الذى أتى على الاغلب من الاحراش المغولية وكان يقطن جنوبى روسيا » فى عهد شارلمان . وفى عام ٧٤٠ تهود بولان ملك هذا الشعب وحول معه عددا كبيرا من رعاياه وأتباعه الى دينه الجديد طبقا لعادة انتشرت فى تلك الازمنة .. وقد استغل اليهود « انفسهم هذا الحادث فى الثلاثينات خلال مناقضتهم العلمية للعنصرية النازية (٣٠)

ويلاحظ مكسيم رودنسون :

« يكفينا ـ من الناحية التاريخية ـ أن نذكر الدولة اليهودية فى جنوب الجزيرة العربية فى القرن السادس والتى تكونت من **عرب** جنوبيين تهودوا ، والدولة اليهودية **التركية** لشعب الخزر فى روسيا الجنوبية الشرقية فى القرن الثامن، **ويهود الصين الذين لم يكونوا يفترقون عن** الصينيين فى شىء ، واليهود السود لمنطقة كويشن (الهند) واليهود الفلاشة بالحبشة (٣١)

ومنذ عصر السبى فى بابل ، وابان انتشار اليهود فى مختلف البلاد ، عبر مختلف العصور

---

[٣٠] A. Fayez: Prélude à Israél, Cujas. p. 16.

(٣١) مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٧٠

كثرت حالات زواج من غير يهودية ، الامر الذى تجيزه الشريعة الموسوية .

وكانت كثرة الترحال بين أرض العراق وفلسطين ومصر مصدرا آخر لذلك التمازج البشرى الذى ينفى الفكرة العنصرية ، ذلك أن العبرانيين «كانوا خليطا من الشعوب تتمايز أقسامه المختلفة منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام . والدليل على ذلك أن العبرانيين الذين نراهم على النقوش المصرية يختلفون عن العبرانيين الذين تصورهم الاثار البابلية المعاصرة (٣٢)

ويشهد **رافاييل باثاى** مدير « معهد هرتزل » بمدينة نيويورك « ان ما وصل اليه علم الانثروبولوجيا الطبيعية يبين انه — بعكس المعتقد الشائع — لا يوجد عنصر يهودى »

ومن جانب آخر فان اليهود كمجموعة لم تعش فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا الى أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر جدا يرجع الى بدايات التاريخ الميلادى .

يقول رودنسون :

« ان آخر دولة يهودية مستقلة حقيقية فى فلسطين قضى عليها عام ٦٣ قبل الميلاد عندما استولى بومبيوس على القدس ، وكذلك نجد أن الاعمال الاخيرة للامة اليهودية فى فلسطين ترجع الى تاريخ ثورة باكوشباه عام ١٣٥ بعد الميلاد (٣٣) .

ومن عام ١٣٥ حتى عام ١٩٤٨ لم يكن هناك شىء اسمه الامة اليهودية فى فلسطين . ومع أن هجرة اليهود كانت — فى فترات معينة — تعود الى الاضطهاد العنصرى أو الدينى الذى لاقوه — الا انهم مارسوها فى أغلب الاحوال لطبيعة صفاتهم التجارية التجوالة مثلهم فى ذلك مثل الكثير من شعوب الشرق .

يقول رودنسون :

« علينا الا ننسى أن أغلبية اليهود اختارت المهجر (دياسبوراه) طواعية ، واليوم كما كان منذ العهد الرومانى بل وقبل ذلك فى عهود الفرس . ومنذ زمن طويل يوجد من اليهود فى مدينة نيويورك وحدها اكثر مما يقطن منهم فى دولة اسرائيل ، ولقد اختارت اغلبية اليهود التاركين الجزائر فرنسا كمكان لهم لا اسرائيل (٣٤) . ولقد تكونت الجالية اليهودية الامريكية مثلا بالهجرة من اوربا الشرقية .

يقول دوف بارنير :

« وقد جرى حينئذ أوسع تنقل للسكان شهده التاريخ ، اذ عبر اربعة ملايين من اليهود المحيط الاطلنطى خلال جيل واحد (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) (٣٥) .

ومع هذه الهجرات الى المناطق المتفرقة بدأ اليهود يفقدون ارتباطهم باللغة العبرية « حتى ان بطليموس ملك مصر فى القرن الثانى الميلادى قام بتكليف عدد من الاحبار بترجمة التوراة الى اليونانية (الترجمة السبعينية) حيث كان يهود مصر عاجزين عن قراءة التوراة » (٣٦) فتحدثوا فى غالبية الحالات لغات البلاد التى رحلوا اليها ، وعاشوا على أرضها .

اذن هل اختلقت الصهيونية ما يسمى بالمشكلة اليهودية اختلاقا ؟ الواقع انه رغم تفرق اليهود — وبسبب هذا التفرق — فانهم احتلوا فى البلاد المختلفة التى عاشوا فيها مركز الاقليات الدينية مما جعل هناك تمايزا اختصوا به فى عديد من البلدان وخلال فترات كثيرة .

ذلك أن الميول التجارية والمالية المتوارثة جيلا بعد جيل لدى اليهود — والتى يغذيها فى الاصل كونهم رحلا ، ويبلورها العديد من مبادئهم الدينية وطقوسهم — رسمت لنشاطهم الاقتصادى فى العصور الوسطى خطا ممهدا ، وكذلك فالتقاليد الاقطاعية فى العديد من البلاد الاوروبية خلال العصور الوسطى ، تلك التقاليد التى كانت تمنع غير المسيحيين من امتلاك الارض وممارسة الانشطة الاقتصادية « النبيلة » حصرت اليهود فى ميدان التجارة والمال والحرف الصغيرة والباعة الجائلين — وهى الحرف التى يمارسها أيضا

---

(٣٢) اسماعيل صبرى عبد الله — فى مواجهة اسرائيل ص ٤١ .
(٣٣) المرجع السابق ص ٧٠
(٣٤) المرجع السابق ص ٧٦
(٣٥) مجلة الازمنة الحديثة العدد الخاص ، ص ٤٣٤
(٣٦) اسماعيل صبرى عبد الله : المرجع السابق ص ١٢

العديد من الافراد في المشرق حتى الان (اللبنانيون — اليونانيون .. الخ) .

وهكذا استمر تمايز اليهود في المجتمع الاوروبي لان الاقطاع الاوربي ميزهم .

ولقد كان ممكنا أن يصبح استيعاب اليهود في الحياة الاقتصادية خلال الالفي سنة التي مضت أمرا منتهيا لو لم يتدخل غير اليهود تدخلا سياسيا اذ كانوا يقومون من وقت الى آخر — بمنعهم من الانصهار في الاقتصاد العام ويبعدونهم جانبا (٣٧)

ويلاحظ أن مذابح اليهود الجماعية في اوربا بدأت في الثلث الثالث للعصر الوسيطاي في الفترة التي بدأت فيها النظم الاقطاعية تتزعزع تحت ضربات الحركات الثورية البورجوازية مما جعل الحكام يبحثون عن كبش فداء يوجهون اليه غضب الجماهير ،وكان اليهود كبش الفداء هذا .

يقول احمد فايز :

« وقعت المذبحة الاولى — مذبحة كييف بروسيا — في عام ١١١٣ لا قبل ذلك . وحدثت الابادة الجماعية لليهود في انجلترا عام ١١٨٩ وفي أسبانيا عام ١٨٤٨ وفي المانيا بين عامي ١٣٣٠ و ١٣٣٨ ، وبدأت عمليات نفي اليهود وطردهم في فرنسا عام ١١٨٢ وفي انجلترا عام ١٢٩٠،وفي عام١٢١٥ ابتكر البابا اتوسان الثالث علامة « الرونيل » لتمييز اليهود (وهي الصورة السابقة للنجم الاصفر الذي ميز به هتلر اليهود (٣٨) .

وقد استمر تمايز اليهود في المجتمعات الاوربية بقدر ما استمرت نظم التفرقة الدينية الاقطاعية ، بما يصاحبها من تمييز اقتصادي وقمع مسلح او غير مسلح .

أما في المجتمعات الاخرى التي كانت « مفتوحة » بالنسبة لهم ، فقد فقدوا الصفات المميزة وتم استيعابهم فيها ، وأبرز مثال لذلك الطائفة اليهودية في الصين التي تم اندماجها واستيعابها تماما في المجتمع الصيني في نهاية القرن الثامن عشر .

اليهود في العالم العربي

ورغم ظلمات الحكم العثماني على البلاد العربية فان تاريخ البلاد العربية عامة — وقد عاشت فيها جاليات يهودية كبيرة — لا يضم وقائع تذكر لصدامات دينية او عنصرية ضد من يعتنقون الموسوية ، فالجميع « ساميون » — الجميع يعتقدون كونهم من نسل اسحق واسماعيل ولدي ابراهيم .

لقد عانى يهود البلاد العربية مما كان يعانيه المجتمع عامة من تخلف وطائفية واستبداد وتمتعوا بما كان يصيبه من تقدم ضئيل .

بل وكان المفهوم الاسلامي الشائع عن تاريخ السيد المسيح ، والقائل بأنهم « ما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم » صك تبرئة مبكر لليهود من دم السيد المسيح حماهم من السلاح الديني الذي كان ركيزة للمذابح الدينية ضدهم في أوربا طوال القرون الوسطى .

وقبل ظهور الاسلام اعتنق فريق كبير من عرب اليمن شريعة موسى ، وحين طرد الامبراطور الروماني «طيطس» اليهود من بيت المقدس لجأ عدد كبير منهم الى مصر والى الجزيرة العربية ثم عادوا الى القدس بعد ذلك بحوالي ستة قرون حين حررها العرب من حكم بيزنطة .

وحين احتل الصليبيون المدينة المقدسة أعملوا التذبيح في المسلمين والمسيحيين، وطردوا منها اليهود . ولما حررها صلاح الدين عاد أهلها من اليهود اليها خلف جيش البطل العربي الكبير .

وفي الوقت الذي كانت فيه أوربا في العصور الوسطى تحاصر اليهود في أحياء لا يخرجون منها تسمى « جيتو » وتفرض عليهم صنوفا من الاضطهاد ، كان الفكر اليهودي يزدهر في بلاد العرب ، وتنمو الفلسفة اليهودية مقتفية أثر الفلسفة الاسلامية على منهج المتكلمين اولا ثم متأثرة بفلاسفة الاسلام الكبار . واكبر الاسماء في تاريخ الفلسفة اليهودية حتى العصر الحديث كانت بلا شك اسماء موسى بن ميمون تلميذ ابن رشد وطبيب صلاح الدين ، ويوسف بن سعيد الفيومي المشهور عند اليهود باسم سعديا .

وكانت المدارس الدينية في الاقطار العربية وفي مقدمتها مدرسة « سورا » في العراق منارات للفكر اليهودي ،وكان معلموها يولفون بالعربية والعبرية على حد سواء .

وحين قرر ملوك اسبانيا والبرتغال طرد اليهود

---

(٣٧) مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٤٣٠
(٣٨) أحمد فايز ، نفس المرجع ،

من شبه الجزيرة الايبرية بعد ان طردوا العرب المبرجنين والمستنصرين منها لجأ غالبية اليهود الى الاقطار العربية فى شمال افريقيا حيث كان التسامح الاسلامى ، فى الوقت الذى كانت محاكم التفتيش فيه ترهب كل أوربا .

واذا كانت اللغة دائما شاهدا حضاريا لا يكذب ، فلقد تكلم يهود البلاد العربية لغة العرب ، فى حين أن الاضطهاد حملهم فى اوربا على أن يستخدموا مؤلفات خاصة بهم . وهكذا نشأت « اليديش » و« اللادنيو » ــ الاولى مشتقة من الالمانية والثانية مشتقة من الاسبانية .

بل لقد برز الكثيرون من اليهود فى علوم اللغة العربية . وكان حاخام يهود مصر دافيد ناحوم عضوا بالمجمع اللغوى العربى فى مصر حتى وفاته عام ١٩٥٠ .

وبينما كانت قضية الاضطهاد الواقع على الضابط اليهودى دريفوس تهز فرنسا كان الكاتب والمفكر والفنان البارع اليهودى يعقوب بن صنوع (**ابو نظارة**) يصدر جريدته « التنكيت والتبكيت » مساهما بدور لا ينكر فى انهاض الحركة القومية فى مجال الفكر والثقافة ، واجدا كل ترحيب وتقدير من الوطنيين المصريين .

وفى مصر بالذات ، حيث كان التقدم الرأسمالى مبكرا عن غيره فى البلاد العربية ، يورد كتاب اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧ (٣٩) عددا ضخما من الوقائع التى تؤكد **روح التسامح التى تمتعت بها الطائفة اليهودية فى مصر** . لقد أسسوا ستة محافل طائفية فى القاهرة والاسكندرية والمنصورة وطنطا وبورسعيد . وأقاموا على أرض غالبا ما كانت تمنح لهم بالمجان من الحكومة المصرية ٢٩ معبدا فى القاهرة ، وعشرين معبدا فى الاسكندرية ، واثنى عشر معبدا آخر فى مختلف مدن القطر . وانشأوا عددا كبيرا من المدارس ومراكز التدريب المهنى ، كانت اولاها مدرسة بن ميمون ، ومركز التدريب الذى أوصى بانشائه سالمون شيكوريل عام ١٩١٩ . كما اقامت الطائفة اليهودية عددا كبيرا من الجمعيات الثقافية والفنية والاجتماعية والرياضية وتمتعوا بحرية كاملة فى التعبير ، وكان لهم صحفهم ومجلاتهم الخاصة الى جانب اشتراك كثير منهم فى تحرير الصحف المصرية .

لقد عرفت مصر فى عام ١٩٢٤ وزيرا يهوديا للمالية هو يوسف قطاوى باشا ــ كما وصل عدد كبير من كبار الرأسماليين اليهود الى مقاعد مجلس النواب والشيوخ .

وبينما كانت موجة المعاداة للسامية قد بلغت ذروتها فى أوربا فى عام ١٩٤٢ ، ولاقى اليهود تحت نير الارهاب النازى كل صنوف التعذيب والاستعباد والتجريد ، كان الرأسماليون اليهود فى مصر يتمتعون بحرية تكوين الثروات واستغلال موارد البلاد الاقتصادية وتوجيهها من أجل الحصول على اقصى حد من الربح . وهكذا كانوا يساهمون فى انشاء وادارة وتوجيه اثنى عشر بنكا وشركة مالية وائتمانية كانت تقف على راس النشاط المالى فى البلاد ، وسبع شركات من شركات الاستغلال الزراعى واربع عشرة شركة من شركات استغلال اراضى البناء وتسع من شركات النقل البرى والبحرى وأربع من شركات الصناعات الزراعية الحيوية مثل حلج القطن وكبسه وتصنيع السكر ، وست من شركات صناعة مواد البناء ، وخمس واربعون شركة فى مجالات الصناعة الاخرى . وكانت فى مجموعها تمثل ــ فى حقيقة الامر ــ عصب الاقتصاد المصرى . هذا على الرغم من أن نسبة كبيرة من اليهود فى مصر كانوا يتجنسون بالجنسيات الاجنبية ، ولعبوا فى تاريخها دور الكومبرادور الوسطاء للرأسمال الاجنبى الاستعمارى ، مما جعلهم يغادرونها عندما استرد المصريون حقوق السيادة على أمورهم الداخلية منذ عام ١٩٥٢ بشكل خاص .

ولا يختلف الوضع العام فى البلاد العربية الاخرى ، خاصة تلك التى نمت فيها الحركة القومية ، عما كان عليه الوضع فى مصر ، مع استثناءات قليلة منذ عام ١٩٢٠ لجأت اليها السلطات العثمانية واثارتها المطامع الصهيونية التى بدأت تسفر عن وجهها فى فلسطين . ويشهد **دون جوزيف** الذى ظل حقبة طويلة حاكما عسكريا اسرائيليا للقسم المحتل من مدينة القدس (قبل عدوان ١٩٦٧) بقوله :

« اننى بعد اربعين سنة عشتها فى فلسطين على قناعة بأن بين اليهود والعرب كثيرا من السمات المشتركة وبأنهم يستطيعون العيش معا فى سلام ، وانا لم اشهد قط لدى المسلمين الذين يؤلفون اكثرية عرب فلسطين اى شعور بالعداء نحو اليهود يمكن أن نصفه باللا سامية .

ومع التطور الرأسمالى لدول اوروبا الغربية

---

(٣٩) احمد محمد غنيم واحمد ابو كف : « اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧ » ــ القاهرة دار الهلال ــ انظر الفصل الاول كله .

والولايات المتحدة الامريكية الذى أتى معه بالغاء اسباب التمييز بين الناس عدا الاساس المالى ، اخذ تمايز اليهود فى غرب اوروبا وامريكا فى الاختفاء . **وهنا يقول مجدلانى :**

« ان الظرف الاصيل فى حداثته الذى خلقته التجربة اليهودية فى اوروبا (وبنسبة أقل ذلك التقدم الذى تم احرازه فى بعض بلدان اوربا الغربية) ، ذلك الظرف يواجه اليهودى المعاصر بضرورة القيام بتصحيحات فكرية لا تستطيع جميع الاوساط اليهودية تحقيقها بنفس السهولة»(٤٠).

ولكن البقايا الاقطاعية الشديدة التى تأخر زوالها فى أوربا الوسطى والشرقية قوية الجذور وقد اختلفت الحملات المعادية للسامية بهدف صرف الانظار وايجاد كبش فداء . وكان أول من قام بهذا فى تاريخ أوربا الحديث هو الجنرال بسمارك لمحاربة الاتجاهات الليبرالية والاشتراكية التى عادة ما تقدم لها الاقليات نسبة مرتفعة من أبنائها .

ان تأخر دول أوربا الشرقية فى حركة التطور الراسمالى ،أبقى على تمايز اليهود وانعزالهم بشكل واضح ، وأعطاهم بعض الصفات الخاصة ، منها التحدث بلغة خاصة بهم هى لغة البيديش ، وهى خليط من الالمانية المحرفة والعبرية ، كما أن اليهود الذين هاجروا من أسبانيا بسبب حملات التفتيش فى القرن الخامس عشر الى تركيا ، ظلوا منعزلين أيضا وكونوا لانفسهم لغة خاصة عرفت باسم اللادينو ، وهى خليط من الاسبانية المحرفة والعبرية .

فالنظرة العلمية والتاريخية تشير الى أن حل « المشكلة اليهودية » فى أوربا كان يسير فى اتجاهين :

الاول : هو استيعاب الجاليات اليهودية الموجودة فى بلدان غرب أوربا ، وهو حل مهد له شيوع الحياة الديمقراطية والقضاء على التفرقة على أسس دينية فى تلك المجتمعات ، وحركة الاصلاح الدينى بين اليهود .

والثانى : هو الاتجاه الى تكوين مجموعات محلية ذات سمات قومية فى بعض من بلدان أوربا الشرقية متمايزة بلغاتها وأرضها وتكوينها النفسى عما عداها من قوميات ، وعن معتنقى الديانة اليهودية المنتشرين فى البلدان المختلفة . وكلا الاتجاهين كان يقدم مضمونا اجتماعيا لتحرر جماهير اليهود يقوم على الصراع ضد القوى الاقطاعية والرجعية فى تلك البلدان .

وكان ظهور الصهيونية فى هذه الظروف بأفكارها شبه الكوزموبوليتية عن « شعب يهودى عالمى » وأمة واحدة ليهود العالم أجمع كان عامل عرقلة حاسم لهذا الحل .

فالصهيونية ، وقد تقدمت كحركة تفرض لنفسها سلطة عالية تمثل جميع اليهود فى العالم وتعمل على فصلهم من مجتمعاتهم ثم الانقضاض بهم على فلسطين ، كان لا بد لها وأن تجند كل قواها لمحاربة فكرة واتجاهات الاستيعاب ، وفكرة استقرار أى يهودى فى الوطن الذى ولد وعاش فيه .

يقول ارثر هيرزبرج : «بالنسبة لهرتزل فان الظلم والاضطهاد أكثر فائدة للحركة الصهيونية لانهما لا يخلقان الجو المناسب والمساعد على الاندماج فى المجتمعات الاوربية » (٤١)

وبهذا تصبح الصهيونية هى :

« العدو اللدود للحركات الاصلاحية والمحاولات الاندماجية التى كانت ستؤتى ثمارها لو أتيح لها الاستمرار والفعل فى حياة المجتمعات الاوربية حينذاك »(٤٢)

ورغم أن الحركة الصهيونية بشرت بتكوينها ، منذ هرتزل ، على اساس استحالة الاستيعاب، مستغلة حادثة دريفوس فى فرنسا ،فانها سرعان ماتحولت لتكون الاداة الرئيسية فى عرقلة هذا الاستيعاب بل والحرب ضده بما تنشره من مفهومات وما تمارسه من اعمال .

نشرت جريدة « **جيروزاليم بوست** » الاسرائيلية فى ١٢ ـ ١ ـ ١٩٦٦ ما جرى فى مؤتمر المجلس الصهيونى العام فى ١١ يناير ١٩٦٦ فقالت :

« أعطى ايبان تفسير الحكومة الاسرائيلية لنوعية العلاقة بين اسرائيل وبين يهود العالم ، فحدد هذه العلاقة على الشكل التالى : اننا ننظر الى أنفسنا كمحور أو كقلعة لشعب عالمى ، وليس فقط كدولة صغرى محدودة بحدودها الجغرافية .

---

(٤٠) مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص ، مقال مجدلانى ص ٣٨٢
(٤١) هيرزبرج : آرثر « الفكرة الصهيونية : تحليل تاريخى ومختارات ـ ١٩٥٩ ص ٤٣
(٤٢) اسعد مرزوق ـ نظرة فى احزاب اسرائيل ـ بيروت ـ ١٩٦٦ ـ ص ٤٩

ان الصهيونية جـزء لا يتجـزأ من مسئوليتنـا المشتركة ، ولسوف تتابع اسرائيل بترقب كبير مناقشاتكم » ٠

وقد تقدم ناحوم جولدمان بالبرنامج الجديد لنشاط الحركة الصهيونية فى المؤتمر السادس والعشرين الذى انعقد بالقدس بين ٣٠ــ١٢ ــ ١٩٦٤ و ١١ ــ ١ ــ ١٩٦٥ ، ونص بوضوح على ان الجانب الرئيسى لهذا النشاط هو تأكيد الطابع القومى المميز لجميع اليهود المنتشرين فى العالم وضمان بقائهم الدائم كأمة منفصلة ٠

وفى أثناء المناقشات التى جرت فى الاجتماع الشامل الخامس للمؤتمر اليهودى العالمى فى ديسمبر ١٩٦٤ القى جولدمـــان خـــطابا بعنوان « الشعب اليهودى فى القرن العشرين » قال فيه : « ان وجهتنا الرئيسية اليوم هى الداخلية ولم تعد الخارجية ، وهذا أكثر من أى يوم مضى . فالخطر الذى يتهدد بقاءنا هو الاستيعابوالتفكك وان عملية الاستيعاب والاندماج لا تخص اليوم الافراد فقط ، بل تتعلق بحياتنا الجماعية كيهود، وصفتنا كوحدة جماعية متميزة »

وفى مؤتمر المجلس الصهيونى العام بالقدس فى ١١ ــ ١ ــ ١٩٦٦ بدأ ناحوم جولدمان كلمته بسرد مخاوف الحركة من « الانقراض الدينى » لليهود ، واعتبر أن الاندماج لليهود يشكل اليوم خطرا أكبر بالنسبة لليهود من خطر اللاسامية ٠ وقال انه اذا لم يتغير تكوين الحياة اليهودية وصـورتها ، فستصبح يهودية جزء كبير من الاجيال اليهودية القادمة مشكوكا فيها ٠ وقال انه يجب العودة الى « صهيونية مقاتلة » والعمل على تقوية مبدأ وحدة الشعب اليهودى واعتبار اسرائيل محوره ٠

وهكذا مثلت الصهيونية ، منذ نشأتها ، حركة مضادة للاتجاه التقدمى فى حل مشكلة اليهود فى الاتجاه الصحيح ٠

ومن جانب آخر وجدت رجعيات شرق أوربا فى الصـهيونية فـرصتها للتخلص مـن « اليهود المشاغبين » فى بلدانها ٠ وكانت حكومات ألمانيا وروسيا القيصرية أكثر المتحمسين للحـركة الصهيونية ، واليها بدأ هرتزل مسيرته ليعرض عليهما « الاثار المفيدة » للحركة الصهيونية فـى اجهاض الحركة الديمقراطية فى بلدانهما (أنظر رسائل هرتزل الى امبراطور ألمانيا وقيصر روسيا فيما بعد) ٠

وهكذا ، بدلا من المضمون التقـدمى لـكلا الاتجاهين السابقين فى حل المشكلة اليهودية فى اوربا ، مضمون الصراع ضد القوى الاقطاعية والرجعية هناك ، قدمت الصهيونية مضمونا لحل المشكلة اليهودية وتحرير اليهود يقوم على توجيه الصراع ضد شعب فلسطين والعمل على طرده من وطنه وأرضه ، فى تحالف مع كل القوى الرجعية والاستعمارية الاوربية ٠

وهذا النوع من التفكير الكوزموبوليتى ما كان له أن يخلق أمة لا من يهود العالمأجمع، ولا حتى من اليهود الذين نجح فى استجلابهم الى أرض فلسطين ، ذلك أن :

« العقبة الرئيسية فى سبيل تكوين أمة متميزة فى اسرائيل هى الرابطة الصهيونية ، فاسرائيللا يمكن أن تصبح أمة الا اذا تخلت نهائيا عن اعتبار نفسها وطنا لكل يهود العالم ٠ ان فكرة القومية الاسرائيلية نفى بالضرورة للقومية اليهودية ٠ وهى لا يمكن أن تتبلور وتتأكد الا فى الحدود التى تضمحل فيها وتتلاشى فكرة أن اليهود فى العالم كله شعب واحد ٠ ان اصرار الاسرائيليين على البقاء جزءا من كل مشتت يقتل عناصر التمييز ويحول دون ابراز شخصية قوميتهم ، والواقع انهم لا يعتبرون أنفسهم أمة متميزة ولا يفكرون بهذه العقلية ٠ ومن المسلم به أن من عناصر القومية هذا الاحساس العميق بالشخصية المستقلة » (٤٣) ٠

الصهيونية وضحايا النـــازية الهتلـــرية

استغلت الصهيونية مأساة يهود المانيا فى عهد النازية لخدمة أغراضها السياسية ، وتم ذلـك بكيفية أثارت اعتراض الكثيرين من المفكرين ٠ كتب **بيير ديميرون** « ان هذا الاستغلال ، دون حياء لموتى معسـكرات دخاوو أشـفتز وترينيكا من جانب الذين ما زالوا على قيد الحياة ليس الا نصبا معنويا ، لم يكتف فيه بتعذيب ضحايا البربرية النازية وهم أحياء ، بل اغتصب ذكراهم أيضا ٠ لقد كان النازيون يستخرجون من جثث الضحايا المواد اللازمة لصناعة الصابون ، أما الصهيونيون فانهم يسـتمدون منها المبـررات (لسياستهم الاجرامية) (٤٤)

ورغم كل دموع الاسى التى لا تنفك تزرفها

(٤٣) اسماعيل صبرى عبد الله:فى مواجهة اسرائيل ــ المرجع السابق ص ٥١
(٤٤) ب ٠ ديميرون : نفس المرجع ص ٥٢

الصهيونية على هؤلاء الضحايا من جماهير اليهود ، فالواقع أن الحركة الصهيونية باحزابها المختلفة قد ارتكبت موضوعيا من الجرائم فى حق هذه الجماهير ما يضعها بكلتا قدميها فى معسكر القوى المعادية لها .

لقد ناصرت الحركة الصهيونية القوات المضادة لثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، رغم ما عرف عن هذه القوات من عداء مشهور للسامية .

وقبيل الحرب العالمية الثانية ، وفى أثنائها ، رفض القادة الصهاينة باصرار كل المشروعات التى ترمى الى انقاذ أرواح الضحايا اليهود من الطغيان النازى ما لم تكن هذه المشروعات تخدم أطماعهم السياسية فى اقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين . وفى هذا الصدد يقول المعلق والمؤرخ الامريكى **ليلنتال** – وهو يهودى – ان وزارة الداخلية الامريكية لقيت معارضة قوية من جانب الحركة الصهيونية لمشروع توطين اليهود فى الاسكا ، وهم هؤلاء اليهود الذين لجأوا الى الولايات المتحدة فرارا من الاضطهاد النازى فى الثلاثينات .

ويشير **موريس ارنست** ، وهو شخصية سياسية امريكية بارزة ، الى « جهود الصهيونية التخريبية » لمشروع الرئيس روزفلت الداعى الى انقاذ حياة ٥٠٠ الف انسان كانوا فى قبضة هتلر ، وذلك باعطائهم حق اللجوء السياسى الى الولايات المتحدة ،فلقد عارض الصهيونيون هذا المشروع ،لانه كان يفتح أمام اليهود أبوابا للهجرة غير أبواب فلسطين » ويشير موريس ارنست فى مذكراته الى حديث جرى بينه وبين الرئيس الامريكى روزفلت أبدى فيه الاخير أسفه لانه لم يتمكن من تنفيذ مشروعه **بسبب الضغط الشديد الذى مارسه عليه قادة المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة** . وقال روزفلت بهذا الصدد ان الحركة الصهيونية تدرك أن فكرة انشاء دولة يهودية فى فلسطين تدر عليها تبرعات طائلة . أما اذا منح حق اللجوء السياسى لاى انسان بصرف النظر عن الجنسية والدين واللون ، فان الصهيونية لن تحصل على هذه الاموال . كما مارست الحركة الصهيونية ضغطا شديدا على الحكومة الاسترالية لكى تمتنع عن توطين اللاجئين اليهود فى غرب استراليا طبقا لمشروع كمبرلى .

ويورد كتاب « **اطلاق الحمامة** » عددا من الحقائق الهامة عن حقيقة العلاقات الخفية بين الحركة الصهيونية وبين النازية الهتلرية استنادا الى مصادر صهيونية ننقل منها :

فى كتاب مبكر اسمه « **العذر** » بقلم بن هيكيت مبنى على وثائق ومستندات تاريخية — يروى المؤلف تفاصيل عما دار فى المحاكمة التى هزت اسرائيل عام ١٩٥٦ وأدت الى سقوط الوزارة فى تل أبيب . ففى أثناء المحاكمة وجه الادعاء الى موظف اسرائيلى كبير يدعى رودلف كاستنر اتهاما بالتعاون مع الجستابو عام ١٩٤٤ ، وظهرت حقائق دامغة تدين قادة الصهيونية بأنهم كانوا فى سبيل اغراضهم السياسية القذرة على استعداد لتسليم مئات الالاف من اليهود الى الجستابو ،بل لم يكن هذا مجرد استعداد انما هو قد حدث فعلا فى المانيا واوربا الشرقية . فالقادة الصهيونيون لم يكن يعنيهم فى شىء مصير آلاف اليهود التعساء ، وانما كان كل ما يعنيهم هو الاتفاق مع حكام المانيا على التعاون معهم من أجل اقامة « وطن قومى لليهود فى فلسطين » ومؤلف كتاب **العذر الصهيونى** ، هو الاخر ورغم ذلك وصل آخر المطاف الى الاستنتاج بأن « القادة الصهاينة فى أمريكا واوربا قد سهلوا ابادة ملايين من مواطنيهم » .

ويشير بن هيكيت الى ان الزعيم الصهيونى كاستنر علم من الجستابو بما يدبر للمعتقلين اليهود ، ولكنه ظل يثرثر بكلمات محذرة ، على حين كان يجرى مع الجستابو مفاوضات لانقاذ عدد محدود من اليهود الاثرياء المرموقين ، وقد حقق كاستنر ما أراده عن طريق اتفاق بينه وبين الجلاد النازى ايخمان ، على ان يطلق الجستابو سراح هذه النخبة المختارة لقاء تسليم كمية من معدات وسيارات النقل التى تحتاج اليها القوات النازية فى عملياتها العسكرية . اما اليهود الفقراء فقد تم ترحيلهم الى افران الحريق وحجرات الغازات السامة .

ويؤكد بن هيكيت أنه بالاضافة الى رئيس جمهورية اسرائيل وايزمان الذى كان على علم بالاتفاق الذى عقد بين كاستنر وايخمان ، فان **مسئولية ابادة هؤلاء اليهود تقع ايضا على كاهل موسى شاريت ودافيد بن جوريون وعدد من كبار المسئولين اليوم فى اسرائيل .**

ويواصل مؤلفو كتاب « **اطلاق الحمامة** » حديثهم قائلين :

« كذلك فان الصلات بين ايخمان وبين القادة الصهاينة تنكشف فى كتاب آخر اسمه « **ايخمان فى أورشليم** » وجاء بالكتاب أنه نتيجة لهذه الصلات تمت عمليات تبادل « حفنة من الصهاينة نظير الموافقة على ابادة مئات الالاف من اليهود العاديين » .

ويكشف الكتاب المذكور عن العلاقات الاكثر شيوعا بين **قادة الحركة الصهيونية العالمية** ،**وبين النظام الهتلرى** . وكان القادة الصهاينة يرون فى السياسة الفاشية دافعا الى ازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين . ومن هنا فقد تم الاتفاق بين الوكالة اليهودية وبين السلطات النازية فى

المانيا . وبموجب هذا الاتفاق تعهد الفاشست بتسهيل الهجرة السرية الى فلسطين لدرجة أن الجستابو نفسه « كان يساعد فى هذه المأمورية (٤٥) ولعل هذا هو السبب فى اهتمام قادة الحركة الصهيونية بالبحث عن ايخمان وخططه ومحاكمته واعدامه فى اسرائيل لكونه همزة الوصل بين الحركة الصهيونية وبين السلطات النازية،وفى نفس الوقت يتعاونون ايضا مع مئات النازيين السابقين فى المانيا الغربية .

الصهيونية حركة أوربية رجعية

لم يجرؤ أحد من مفكرى الصهيونية حتى اليوم — على حد علمنا — على الزعم بأن الحركة الصهيونية التى نجرت كل تلك التطاحنات الدامية فى الشرق العربى ، طوال أكثر من نصف قرن ، كانت نابعة من تطور داخلى فى فلسطين أو فى البلاد العربية ، أو ان الفكرية الصهيونية الحديثة كانت تعبيرا عن احتياجات طبيعية للطائفة اليهودية فى هذه البلاد ، او استجابة خاصة لاوضاعهم،بل يجمع كل المؤرخين على أن الفكرية الصهيونية كانت نبتا أوربيا خالصا انبثق من تربتها الملغمة بالتطلحنات القاسية فى أواخر القرن التاسع عشر ، ونما متسلقا جذوعها الرئيسية يمد حراب أشواكه الى جسد الشرق العربى ويسقط عليه كل ثماره المرة .

لقد عاصرت ولادة الفكرية الصهيونية الحديثة نهضة حركة القوميات المضطهدة فى النمسا والمجر وروسيا القيصرية . وكان ظهور الصهيونية لا كجزء متمم للمذاهب الموجهة لتسلك القوميات المناضلة من أجل الحرية ، بل كنقيض لها ، وكان هذا دورها الاصيل الذى ختمها به التاريخ . وفى ذلك الوقت وفى الممالك المنهارة فى اوربا الشرقية كان يسود تنظيم الرعايا ، وتقسيمهم على اساس العوامل الاقطاعية المنبثقة عن التفرقة الدينية والطائفية والعرقية والطبقية .. الخ . ومن واقع ذلك الوجود الاجتماعى انبثقت فكريتان مختلفتان:

الاولى : فكرية القوميات المطالبة بالاعتراف بحقوق الجميع ، باعتبارهم مواطنين دون تمييز عنصرى ، او دينى ، وعلى اساس واحد ، هو انتماؤهم للامة المناضلة من أجل وجودها .

الثانية : فكرية صادرة عن القوى الرجعية المختلفة ،ومنها الصهيونية ، هذه القوى التى كانت تقف الى جانب تقسيم البشر على اسس اقطاعية بل وقبلية ، والبقايا المتبقية للتنظيمات الطائفية المنحدرة من العصر الوسيط ، أى على أسس الدين والعرق .

فى نفس الوقت كان غرب أوربا يئن بتناقضات النمو الراسمالى الى مرحلة الاحتكار ، وما سببه من سحق لصغار المنتجين والحرفيين . وبينما نادت الحركة العمالية الناشئة بحل هذه التناقضات عن طريق تجمع كل الكادحين والمضطهدين للهجوم على رأس المال ، كان المفكرون البورجوازيون والرجعيون يبحثون عن حل لمشاكل أوربا على حساب المستعمرات فى الشرق . وكان رودس هو نموذج البطل البورجوازى فى تلك الفترة .

من هذين التيارين : **تيار الفكرة القومية الشوفينية** التى اعتنقتها البورجوازية الصغيرة والقائمة على التجمع على أساس الدين والعرق وأسطورة العودة الى جبل صهيون التى دافع عنها أساسا يهود شرق اوروبا ، **وتيار الفكرة الاستعمارية الاستيطانية المغامرة لحل مشاكل أوربا على حساب المستعمرات والهجرة لاقامة « دولة لليهود »** فى أى من المستعمرات (والتى دافع عنها هرتزل ويهود غرب أوربا أساسا) ، نقول من هذين التيارين **تبلورت الفكرة الصهيونية الحديثة** بشكلها النهائى تقريبا فى المؤتمر الصهيونى الاول ، ولتكون أساسا ايديولوجيا لحركة استعمار استيطانية .. وفى فلسطين ، ولتكون — فى النهاية — **تعبيرا مركزا عن مصالح البورجوازية الكبيرة اليهودية فى غرب أوربا والتى كانت قد بدأت بالفعل فى تصدير بعض رؤوس أموالها الى الشرق العربى .**

قبل هرتزل ظهر الروسى **ليون بنسكر** الذى ألف سنة ١٨٨٢ كتابا أسماه « **التحرر الذاتى** » أكد فيه أن اليهود يضيعون الوقت سدى اذا كانوا يأملون من تقدم البشرية خيرا . وأضاف أن عليهم أن يرفضوا اتباع هذا الطريق الى الحرية ، وان يتصرفوا أولا كيهود فيحررون أنفسهم معتمدين على النشاط الطائفى .

وبعد ذلك بسنوات قليلة زاد هرتزل الفكرة وضوحا وكتب فى كتابه « **الدولة اليهودية** » قائلا :

« ان العالم موجود فى حالة ستستمر على الاغلب مدة لانهائية فيها للقوة أولوية على الحق . ولن يفيد أن يظل الناس وطنيين مخلصين مثلما كان الهيجينيون (طائفة البروتستانت الفرنسيين الذين هجروا فرنسا الى أمريكا فى القرن السابع عشر) الذين اضطروا الى الهجرة » .

لقد ظهرت بين اليهود ، فى نفس الوقت، تلك الحركة التى نادت بالتحرر من الجمود الدينى القديم ، وبالاندماج والانصهار فى التيارات الفكرية

---

(٤٥) بيلبابيف وآخرون — اطلاق الحماة — المرجع السابق ص ٦٠ وما بعدها

والاجتماعية العالمية ، وبشرت بعهد قريب يسود فيه الاخاء الانسانى الشامل .واندفعت الحركة بقوة — خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية — تحت تأثير الحقوق الدستورية المتساوية التى حصل عليها الجميع بعد الحرب الاهلية · وانعقد سنة ١٨٨٥ - بمدينة بتسبرج - مؤتمر لاصلاح الدين اليهودى رجاء عقد هذا المؤتمر كتصور طبيعى لما حققته الحرية والمساواة البورجوازيتان · ولما كان الهدف الاصيل لهذه الحركة هو العمل على الاستيعاب الكامل ، كان من الطبيعى أن تختفى معالمها ، كحركة ، بمجرد تحقيق أغراضها ، لتخلى الارض للحركة الصهيونية التى حاربت الاتجاهات الاصلاحية والاندماجية اليهودية بكل قوة ، ورفعت فى مواجهتها مفاهيمها شبه الاقطاعية ، شبه الاستعمارية للدولة اليهودية ، واستنكر الصهاينة المثل العليا التى تنادى بالتحرر الوطنى العام والتقدم الاجتماعى . ولم يكن من الغريب أن تقف احدى التنظيمات الصهيونية « البوند » الروسى كقوة معارضة لثورة اكتوبر الاشتراكية . هذا « فى حين كان رولا يهتف « انى أتهم » وكانت الحركة الديمقراطية الفرنسية ترد على المحاولات الرجعية بهبة طبعت تاريخ فرنسا الحديث كله بطابعها ، قام هرتزل من جانبه باصدار كتابه « الدولة اليهودية » (٤٦) ·

كانت الحركات التحررية التى ظهرت فى العالم ، منذ أوائل القرن التاسع عشر ، تعبيرا عن أهداف قوميات مكونة تكوينا على أرض محددة ، وباقتصاد ، وتاريخ ، وثقافة متبلورة · أما الحركة الصهيونية فعلى نقيض ذلك نراها تدعو الى استعمار أرض بعيدة عن جميع أفرادها باعتبارها وسيلة لبناء أمة غير موجودة ·

يقول **فايز صايغ** : « ان الصهيونية وما يتبعها من حركة استيطانية هى فى نظرهم اذن اداة لانشاء احدى الامم، وليست التعبير عن قومية سبق تكوينها (٤٧) ·

وفى حين أن أعداء الصهيونية يحاربونها تمسكا بمبادىء الحرية والديمقراطية والتقدم ، نرى هرتزل يقول :

« ان الامم ليست فى حقيقتها مستعدة للديمقراطية التى لا حدود لها فى الوقت الحاضر ، وسيقل استعدادها لها يوما بعد يوم فى المستقبل » (٤٨) ·

ولقد جردت الفكرية الصهيونية « المشكلة اليهودية » من أساسها الاجتماعى ، مقدمة اياها كمجرد كراهية عنصرية · وتتصدى جريدة الاتحاد الصادرة باللغة العربية فى اسرائيل لهذا المفهوم قائلة :

« تعرض الصهيونية قضايا اليهود كقضايا فوق طبقية ، كأنها تنبع بشكل حتمى من وجود يهود فى وسط شعوب أخرى ·· وتدعى الايديولوجية الصهيونية أن سبب اللاسامية هو مجرد كراهية اليهود ·· دون علاقة بالنضالات التى تجرى فى المجتمع · ومع ذلك فان النضال ضد اللاسامية ليس أمرا يهوديا فقط · ان هذا الامر يخص كل القوى الديمقراطية والتقدمية ، وجزء لا يتجزأ من النضال العام ضد العنصرية والتمييز القومى ومن أجل الديمقراطية والاشتراكية (٤٩) ·

وفى المؤتمر الذى عقده الحزب الشيوعى الاسرائيلى تلى تقرير رئيسى يقول :

« منذ أن صاغ هرتزل ، وغيره من الزعماء الصهيونيين ، الصهيونية كحركة سياسية ، **قامت السياسة الصهيونية كسياسة تعاون مع القوى الرجعية ومع الدول الاستعمارية ضد الحركة الاشتراكية الثورية وضد حركة التحرر الوطنى · ولا توجد دولة استعمارية لم تمنحها الصهيونية خدماتها ، ولا توجد دولة استعمارية لم تحاول بهذا الشكل أو ذاك استغلال الصهيونية لاغراضها ، ولاسيما لفرض سيطرتها على الشرق الاوسط** » وبعد احتلال البريطانيين لفلسطين كان طريق الزعامة الصهيونية هو فى التعاون مع سلطات الانتداب البريطانى · وكان هذا تعاونا ومساعدة متبادلة ضد الشعب العربى الفلسطينى · ان الجديد الان هو أن الصهيونية تقوم بدور هام فى السياسة العالمية للاستعمار وضد البلدان الاشتراكية · وكذلك فى تنفيذ سياسة الاستعمار الجديد · وأنها — فى أيامنا ، هى الايديولوجية والسياسة المسيطرة فى اسرائيل ، وهى القاسم المشترك لكل أحزاب الائتلاف الحكومى من الحيروت حتى المابام · وهذه الاحزاب تجلس الان « سوية فى حكومة التكتل القومى على أساس حرب يونيو ١٩٦٧ وعلى أساس الاهداف الصهيونية للتوسع الامريكى وخدمة الاستعمار الامريكى » (٥٠) ·

ولم تكن الحركة الصهيونية حركة أوربية بفكرتها فحسب ، بل بتكوينها العنصرى أيضا،

---

(٤٦) أحمد فايز : نفس المرجع ص ٣٢

(٤٧) F.A Sayegh: Le Colonialisme Slaniste en Palestine Cujas. Paris, p. 8.

(٤٨) صادق سعد — فلسطين بين مخالب الاستعمار — القاهرة — ١٩٤٧ — ص ١٧.

(٤٩) جريدة «الاتحاد» الاسرائيلية — ١٩٦٨/١٢/١٣

والواقع أن اندفاع الصهيونية الى فلسطين لم يعبر ، فى يوم من الايام ، عن حقيقة اتجاه غالبية الهجرة اليهودية فى العالم ، حتى تلك التى حدثت من المانيا أثناء الحكم النازى حين هاجر مايربو على ١٢٠ر٠٠٠ يهودى (من بين ٥٠٠ر٠٠٠ من اليهود الالمان فى عام ١٩٣٦) لم يتجه منهم الى فلسطين — ورغم كل الجهود الصهيونية — سوى ٢٥ر٠٠٠ يهودى (٥١)

بل وحتى كبار الصهيونيين مثل : « لويس ناميير ، الرجل الذى بث الروح فى الصهيونية البريطانية والذى صاغ تصريح بلفور فى الحقيقة ، رفض فى صراحة أن يذهب الى فلسطين الصهيونية تلك ليقيم فيها رغم أنه ساهم بكل قواه فى اختلاقهامن لاشىء ٠٠ وقد أجاب على الملحين عليه بالصيغة الغريبة التالية : « لن أشعر أبدا هناك أننى فى بيتى ٠٠ فسوف يكون لكل شىء طبيعة التركيب العابر ، دون تماسك عنصرى ، وكل شىء ذو صفة مؤقتة أكثر مما يحتمل (٥٢)

ومع ذلك فان « جيش الرجال اليائسين الذين هم أفضل الغزاة ، على حد تعبير تيودور هرتزل نفسه ، والذى قام بانشاء الدولة الصهيونية فى فلسطين ، كانت غالبيته العظمى من المهاجرين الاوربيين ، فطبقا للاحصاءات الاسرائيلية نفسها كان توزيع المهاجرين بموجب قارة المولد (بالنسبة المئوية) هو :

الفترة	اوربا / امريكا	اسيا / افريقيا	المجموع
١٩١٩ ـ ١٩٤٨	٨٩ر٦	١٠ر٤	١٠٠ (٥٣)

وبالاعداد المطلقة ٣٨٥ر٠٦٦ مهاجرا من أوربا وأمريكا و٤٤ر٨٠٩ مهاجر من آسيا وأفريقيا ٠ ولا يجدى فى تغير تلك الارقام بالغة الدلالة الاحتجاج بأن عظم الهجرة من أوربا انما يرجع الى أنها كانت موطن العداء التقليدى للسامية ، فالسطر الثانى من الجدول التالى يبين أن الامر كان أمر مخطط صهيونى أوربى واضح ، كما يرد سطره الثالث على ماقديقال من أن السبب هو ارتفاع وعى يهود أوربا عن يهود أفريقيا وآسيا ٠ فبعد أن أقام « السادة » الاوربيون دولتهم على أرض فلسطين وسيطروا على كل نواحى الحياة فيها ، اخذوا يستوردون البروليتاريا الكادحة التى كانوا يحلمون بها من الشرق بأعداد كبيرة ، وتحولوا هم شيئا فشيئا الى أقلية مسيطرة ٠

ويلاحظ أن أرقام فترة عدوان ١٩٤٨ من ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ الى ٣١ ـ ١٢ ـ ٤٨ ، والتى تدل على هجرة تربو عن ١٠٢ ألف مهاجر فى مدة لا تزيد عن سبعة أشهر ونصف الشهر تزيد عن مجموع الهجرة التى تمت فى جميع سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) والتى بلغت ٩٢ الف مهاجر (٥٥) ٠

٣ ـ وكما سبق أن أوضحنا ، لقد استقبل الرجعيون والاستعماريون الاوربيون ، حتى أولئك المعادين للسامية منهم ، الفكرية والحركة الصهيونية بترحاب شديد، بينما أخذ قادة الحركة الثورية فى أوربا يدركون ، بكيفية متزايدة ، الطبيعة الرجعية والاستعمارية للحركة الصهيونية ٠

فمنذ وقت مبكر كان **كارل ماركس** يكتب فى مقال « حول المسألة اليهودية » قائلا : « ان القومية الوهمية لليهودى هى قومية التاجر ورجل المال

الهجرة اليهودية بموجب قارة المولد
١٩١٩ ـ ١٩٦٠
(الاعداد المطلقة والنسبة المئوية (٥٤)

الفترة	الاعداد المطلقة			النسبة المئوية		
	آسيا وأفريقيا	أوروبا وامريكا	المجموع	آسيا وأفريقيا	أوروبا وامريكا	المجموع
١٩١٩ ـ ١٩٤٨/٥/١٤	٤٤ر٨٠٩	٣٨٥ر٠٦٦	٤٥٢ر١٥٨	١٠ر٤	٨٩ر٦	١٠٠
٤٨/٥/١٥ ـ ٤٨/١٢/٣١	١٢ر٩٣١	٧٧ر٠٣٢	١٠١ر٨١٩	١٣ر٤	٨٦ر٦	١٠٠
٤٨/٥/١٥ ـ ٦٠/١٢/٣١	٥٠٧ر٠٧٤	٤٤٢ر٢٤٨	٩٦٨ر٧٤٨	٥٣ر٤	٤٦ر٦	١٠٠

(٥٠) جريدة الاهرام ـ القاهرة ـ ١٩٦٩/٢/٦
(٥١) صادق سعد ـ فلسطين بين مخالب الاستعمار ـ المرجع السابق ـ ص ١٦ ٠
(٥٢) ب ٠ داستريا ، المرجع السابق ص ٥٣
(٥٣) Statistical Abstract of Israel, 1965, p. 96.
(٥٤) Statistical Abstract of Israel, 1961, p. 86.
(٥٥) يوسف صايغ « الاقتصاد الاسرائيلى » ـ مركز الابحاث (منظمة تحرير فلسطين) بيروت ص ٦٤

بصورة عامة»(٥٦) .ويعود ليقول:« **تصل اليهودية الى ذروتها عند اكتمال المجتمع البورجوازى** » بينما يواجه فلاديمير لينين الحركة الصهيونية فيكتب فى عام ١٩٠٣ : « قد تبدو الصهيونية للوهلة الاولى حركة ذات هدف سلمى انسانى ·· وجمع اليهود عند جبل صهيون فى أرض الميعاد ـ التى لن تعرف ـ كما تقول شريعة الديانة اليهودية القديمة ·· الظلم الاجتماعى أو السياسى ·· ان الفكرة الصهيونية التى اخفيت بمهارة قد تبدو جذابة فى ظاهرها . ولكن نظرة أعمق تكشف عن جوهرها الحقيقى كأداة لتبرير المطالب الاستعمارية والاقليمية للبورجوازية اليهودية ، وللتبشير بالسلام الطبقى الخيالى بين اليهود العاملين وتوحيدهم على أساس القومية والشوفينية فى البلدان المختلفة وعلى الصعيد الدولى · ولقد اتخذت الصهيونية الدولية ، منذ ظهورها ،موقفا عدائيا متشددا ضد حرية واستقلال الشعوب ، وتكشفت أمام العالم كحليف للامبريالية .

ويعود فى عام ١٩٠٣ أيضا فيقول :

« ان الفكرة الصهيونية كاذبة تماما ورجعية فى جوهرها كمحاولة من جانب البورجوازية اليهودية الموالية للامبريالية للسيطرة على جماهير الشعب العامل اليهودى وتعطيل استيعابهم فى الشعوب الاخرى » (٥٨)

وفى مناقشاته مع قيادة حركة البوند ـ الاتحاد العام للعمال اليهود ـ الذى كان يتبنى بعض أفكار الصهيونية **يؤكد لينين :**

« لكن حجة البوند الثالثة التى تتذرع بفكرة الامة اليهودية لها بلا ريب ضيقة المبدأ ، ولكن لسوء الحظ أن هذه الفكرة الصهيونية خاطئة خطأ مطلقا ورجعية من حيث جوهرها » (٥٩) .

ويعود ليؤكد :

« ان الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة عن غيرها هى غير ثابتة من الناحية العلمية على الاطلاق عدا كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية .وتعطينا الوقائع المدونة للتاريخ الحديث والحقائق السياسية المعاصرة برهانا عمليا لا يمكن دحضه على ذلك ، ففى جميع أنحاء أوربا رافق انهيار العصور الوسطى وتقدم الحرية السياسية التحرر السياسى اليهودى وتركهم لليديش واستعمالهم لغة الشعوب التى يعيشون بينها ، وبوجه عام اندماجهم شيئا فشيئا مع السكان المحيطين بهم · هل بامكاننا أن نعزو الى الصدفة أن تكون القوى الرجعية فى جميع انحاء أوربا ولاسيما فى روسيا هى التى تعارض اندماج اليهود وتسعى الى ادانة عزلتهم ؟

« ان المشكلة اليهودية على وجه الدقة هى : الاندماج أو الانعزال · وان فكرة القومية اليهودية

● دافيد بن جوريون ●

كان اسمه دافيد جرين ، وولد فى بولندا . ونشط منذ صغره فى الحركة الصهيونية اذ كان احد مؤسسى مجموعة صهيونية عمالية تسمى بوعالى صهيون [عمال صهيون] وهاجر الى فلسطين ، مثل الهتدروت ، ومنظمة الحالوتس وقام بدور كبير فى اقامة المنظمات الصهيونية فى فلسطين ، مثل الهستدروت ، ومنظمة الحالوتس اى الرائد والهاجاناه وفى١٩١٨ انضم الى الفيلق اليهودى فى الجيش البريطانى .

ومنذ عام١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ كان بن‌جوريون يشغل منصب رئيس الوكالة اليهودية . ومنذ انشاء الدولة كان رئيس وزرائها ووزير الدفاع والقائد الفعلى لحزب ماباى الى ان انشق عنه واسس مع موشى دايان حزب رافى .

وبن جوريون صهيونى متطرف ـ يعادى الوجود العربى فى فلسطين عداء مطلقا . ومنذ ان وطات قدماه هذه الارض كرس جهوده لاستبعاد العامل او الفلاح العربى من المناطق التى يسيطر عليها اليهود .

وهو يحرص حرصا شديدا على أن يكون اليهود فى مختلف دول العالم مرتبطين باسرائيل ، عازمين على الهجرة اليها . وهو بهذا الاسلوب يمارس ابتزازا عالميا منقطع النظير . ويثير قضية الولاء المزدوج .

والعنف والردع هما الوسيلة الناجعة لضمان امن اسرائيل . ولهذا ارتبط اسم بن جوريون طوال حياته السياسية بعمليات التوسع والعدوان المتوالية ومن بينها عدوان ١٩٥٦ الثلاثى · ■

---

(٥٦) كارل ماركس «حول المسألة اليهودية » مقالات مختارة ـ الناشرون الدوليون ـ ١٩٢٦ ـ ص ٩٣ ■
(٥٧) المرجع نفسه .
(٥٨) مجلة الشباب السوفيتى فى١٩٦٧/٤/١٢ تحت عنوان« لينين والحركة الصهيونية »
(٥٩) ف ا لينين « وضع البوند فى الحزب » ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد السابع ص ٩٩

هى ؟ بلا ريب ؟ فكرة رجعية ليست فقط عندما ينادى بها المنادون بصورة دائمة (وهم الصهيونيون) ، ولكن ايضا عند اولئك الذين يحاولون أن يجمعوا بينها وبين افكار الاشتراكية الديمقراطية (البوند) (٦٠) .

وفى شعارات المؤتمر الثانى للكومنتيرن الخاصة بالمسألة القومية والمستعمرات أدينت الصهيونية واعتبرت أداة للامبريالية ، وينص البند الحادى عشر على وجه التحديد :

« ان المؤسسة الفلسطينية للصهاينة — والصهيونية عموما ،لهى مثال صريح على الجهود المتضافرة التى تبذلها الامبريالية العالمية والبورجوازية لخداع الجماهير الكادحة » (٦١) .

الصهيونية فصيلة خاصة من فصائل الامبريالية الدولية

لقد وجد كبار الرأسماليين اليهود من أمثال روتشيلد وكون ليب ومونتيفورى وموردخاى فى الدعوة الصهيونية فرصتهم لتجنيد حرس لرؤوس أموالهم المصدرة والمستثمرة فى مواطن مختلفة .

فدعا **مونتيفورى** اليهود الروس والبولنديين والرومانيين الى الاقامة فى الارجنتين ، **ودعا آل روتشيلد** يهودا آخرين الى أن يصبحوا زراعا وحرفيين فى فلسطين — واشترى موردخاى الجزيرة الكبيرة فى نهر النيجر ، ودعا اليهود الى الذهاب اليها .

وفى الايام الاولى لقيادة هرتزل لم يكن الوطن المختار قد تكون بعد :

«وقد وضح عدم تمسك هرتزل بفلسطين كوطن قومى لليهود فى قوله : **وهل لنا أن نختار فلسطين أم الارجنتين** ؟ نحن سوف نأخذ ما يعطى لنا ،وما سيختاره الشعب اليهودى . ان الارجنتين من أخصب بقاع الارض ورقعتها كبيرة الاتساع وتستطيع أن تستوعب سكانا جددا . أما فلسطين فهى الوطن التذكارى ، وان مجرد اسم فلسطين يجتذب اليها قلوب اليهود بشدة . فاذا فرضنا أن السلطان سوف يعطينا فلسطين فاننا نتعهد فى مقابل ذلك بتنفيذ وتنظيم مالية تركيا . ويجب علينا هناك — فى فلسطين — أن نقيم استحكاما لاوربا ضد آسيا لتكون نقطة أمامية للمدنية ضد البربرية » (٦٢) .

كما يستخرج أحمد فايز من مذكرات هرتزل قوله :

« **لقد وضعت أمس واليوم النقط النهائية لمشروعى الجديد ، فانطلاقا من اقتراح تشمبرلين بخصوص أوغندا — سأطرق باب الموزمبيق،وسأحاول الحصول على هذا الاقليم غير المستعمل من البرتغال التى تحتاج الى المال .. غير أننى لا أريد الموزمبيق الا لكى أستخدمه كوسيلة تبادل لاحصل من الحكومة البريطانية على سيناء كلها يرويها ماء النيل صيفا وشتاء ، وقد أحصل ايضا على غيرها .. وهذا كله بلا ثمن** » (٦٣) .

هنا يلاحظ أن ذكر هرتزل **للارجنتين (ولبلاد غير فلسطين — المحرر)** كوطن قومى دليل قاطع على أن الحركة ظهرت لاسباب سياسية . أما فكرة العودة الخيالية فقد أقحمت — كما يقول آلان تايلور فى كتابه تاريخ الصهيونية — على الحركة اقحاما لجاذبية الفكرة العاطفية (٦٤) .

لم تكن القضية فى المحل الاول اذن « **ايمانا بالوعد الالهى فى أرض كنعان وانما كانت رغبة كبار الرأسماليين اليهود كقوة متميزة ، فى المشاركة بنصيب خاص فى الحركة** . لقد نجح كبار الرأسماليين اليهود فى أوربا فى احتلال مكانة مرموقة فى المجتمع الرأسمالى ، وتمتعوا بكل ما تضفيه الثورة من مزايا فى ذلك المجتمع ، وتولوا مناصب الحكم وحصلوا على ألقاب الشرف . ولكن ذكريات الازدراء الماضى ومظاهر الاضطهاد فى شرقى أوربا كانت تحملهم على

---

(٦٠) ف . ا . لينين — « هل تحتاج البروليتاريا اليهودية الى حزب سياسى مستقل — المؤلفات الكاملة — المجلد السابع — ص ٣٣٠

(٦١) مجموعة وثائق المؤتمر الثانى للكومنتيرن — طبعة بتروجراد — ١٩٢١ — ص ١٤٠ — ١٤١ .

(٦٢) حاتم صادق « نظرة على الخط — دراسة فى الاستراتيجية الاسرائيلية» القاهرة — دار المعارف — ١٩٦٨ — ص ١٩ .

(٦٣) A. Fayez : ibid. P. 34

(٦٤) أسامة المرزوقى : وعد بلفور صورة للترابط بين الصهيونية والاستعمار — مجلة آفاق عربية — السنة الاولى — العدد السادس — نوفمبر ١٩٦٩ .

التفكير فى اقامة دولة تكون خالصة لهم وركيزة لامبراطورية واسعة .

الا أن تركة الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) كانت أكثر اغراء ، وهى التى كانت مطروحة على مائدة القوى الاستعمارية الكبرى فى ذلك الوقت . ولم تستقر نهائيا فى بداية واحدة أو مجموعة منها . وليس مثل فلسطين بلد يمكن أن تعبأ جماهير اليهود للاندفاع اليها بدوافع مختلفة ـ سواء كانت الدوافع دينية عند البعض أو رفض حضارة أوربا الرأسمالية عند البعض الاخر ، وخاصة عند يهود شرق أوربا ، من صغار الحرفيين والعمال . ومنذ المؤتمر الصهيونى الاول فى أغسطس عام ١٨٩٧ ـ ركزت الحركة الصهيونية ، ومن ورائها الرأسمالية اليهودية الكبيرة كل قواها فى غمرة السباق الامبريالى المحموم حول اشلاء أمبراطورية آل عثمان لتقتطع لنفسها نصيبا من هذه التركة ، وكانت فلسطين هى الهدف .

وفيما يلى نماذج لبعض أقطاب الرأسمالية اليهودية الكبيرة الذين كان لهم القدح المعلى فى تعضيد وتمويل الحركة الصهيونية ، وحقيقة المصالح التى يدافعون عنها .

أسرة روتشيلد

أغنى عائلات أوربا ـ وأقدم الاسر اليهودية العنصرية التى تبنت الفكرة الصهيونية ، ودعت لها وزودتها بالاموال . وقد اشترك أفرادها فى المؤتمر الصهيونى الاول فى بال ، وكان يرأس هذه الاسرة فى سنة ١٧٤٣ مايرانسلم روتشيلد . وانتشر أبناؤه بين لندن وباريس ونابولى وفيينا وفرانكفورت ونيويورك وكانت لها مساهماتها فى الشركة العالمية لقناة السويس . وكان بنك روتشيلد فى انجلترا هو الذى مول صفقة شراء انجلترا لنصيب الحكومة المصرية من أسهم القناة فى أواخر القرن الماضى .

« ومن المعروف أن هذه العائلة تملك أسهما فى شركة شل ، وشركة الخليج أويل كوربوريشن ، وشركة البترول الفرنسية ، وكلها من كبار شركات البترول العاملة فى الدول العربية » (٦٥) .

ويذكر جان بونيه ـ أستاذ التاريخ فى جامعة ليل الفرنسية ، فى كتابه عن عائلة روتشيلد ، أن شراء هذه العائلة لاسهم الشركات البترولية العاملة فى البلاد العربية يتم أحيانا بصورة مباشرة ، وأحيانا بصورة مستترة عن طريق شركات التمويل التى تسيطر عليها العائلة وفى طليعتها « الشركة الفرنسية للتمويلات البترولية » و « شركة استثمارات الشمال » .

وعندما طرحت شركة الخليج أويل كوربوريشن التى تملك ٥٠ فى المائة من أسهم شركات بترول الكويت مؤخرا فى الاسواق المالية العالمية قرضا بمبلغ ٤٠ مليون دولار ، وبفائدة ٧ فى المائة ، كانت عائلة روتشيلد من بين الذين سارعوا الى الاكتتاب فى هذا القرض .

لقد كان لينوبل وولتر ـ حفيد روتشيلد ـ فى بريطانيا ، هو الذى قصد مع هربرت صموئيل الى لورد بلفور يطالبانه باصدار الوعد باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وصدر الوعد فى صورة رسالة موجهة من بلفور الى لورد روتشيلد بوصفه رئيسا للاتحاد الصهيونى فى بريطانيا .

وكان البارون ادموند دى روتشيلد ، فى فرنسا ، فى مقدمة أعضاء أسرته فى تمويل الجمعيات الصهيونية ، وخاصة تلك التى كانت تتولى شراء الاراضى واقامة المستعمرات فى فلسطين . وساهم بنصيب كبير فى اقامة مستعمرة بتاح تكفا سنة ١٨٨٢ ، وهى أول مستعمرة ينجح الصهاينة فى انشائها فى فلسطين ، وفى سنة ١٩٢٥ انشأ جمعية الاستعمار الفلسطينى اليهودى لتشرف على المستعمرات .

وساهمت أسرة روتشيلد بعد ذلك فى مشروع روتنبرج الذى أقامه سنة ١٩٢٦ لتوليد الكهرباء بغرض ايجاد اساس اقتصادى للاستيطان .

وبعد انشاء اسرائيل أصبحت أسرة روتشيلد تسيطر على ٧٠ فى المائة من البنوك الاسرائيلية ، و ٦٠ فى المائة من صناعة السياحة ، و ٥٠ فى المائة من مزارع الكروم . وظلت الاسرة قاسما مشتركا أعظم فى تمويل كل المشاريع الاسرائيلية الكبرى .

وقبل وخلال وبعد عدوان يونيو ١٩٦٧ برز نشاط آل روتشيلد بشكل واضح ، وخصوصا فى فرنسا وانجلترا ، حيث ترأسو لجان التبرعات

---

(٦٥) نيقولا سركيس : البترول فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل ـ مجلة مصر المعاصرة ـ القاهرة . يوليو ١٩٦٩ ـ ص ٨٩ .

لاسرائيل ووجهوا الحملات الدعائية الواسعة التى شنتها الصحف وسائر وسائل الاعلام الغربية ضد العرب • كما قام أدموند روتشيلد بعد العدوان بزيارة اسرائيل ، ووجه بعد عودته الى فرنسا نداء الى يهود العالم دعا فيه كل واحد منهم الى المساهمة «بمرتب شهر ، أو بنصيب من دخله ،أو بجزء من رأسماله لمعاضدة اسرائيل » واشترك، وباقى أفراد أسرته ، فى المؤتمر الذى عقد فى تل أبيب فى أغسطس سنة ١٩٦٧ وضم عددا من اثرياء اليهود لبحث امكانية توظيف مبلغ مليار جنيه استرلينى جديد فى اسرائيل •

المليونير الامريكى برنـــارد باروخ

وهو مليونير يهودى يطلق عليه اســم « **أبو اسرائيل** » رغم أنه ظل يحاول اخفاء نزعتـــه الصهيونية • **وكان مستشارا للبيت الابيض بشكل دائم ، خاصة فى عهدى ترومان وايزنهاور:** لتنفوذه الواسع منذ أن جمع مئات الملايين من الدولارات عن طريق احتكار عدد من السلع الاستهلاكية والمضاربة فى البورصة ، وأن كان يستمد نفـوذه الحقيقى من الدور الذى قام به فى الصناعات الحربية منذ الحرب العالمية الاولى • ولقد ساهم فى انشاء الجمعيات الصهيونية فى الولايـات المتحدة ، وكان أول من دعـــا الى انشـــاء جمعية « سفيرات اسرائيل » وكان همزة الوصل بين الحكومة الامريكية وبيـن الشـخصيات الصهيونية . وقد صرح مرة أنه حاول « أن يشترى من العرب الصلح لاسرائيل » •

شركة فلسطين الاقتصـادية

أسستهـا سنـة ١٩٢٩ مجموعة من المصرفيين الامريكيين وخاصـة كون ليب وشركاه واخـوان ليمان • ويرأس مجلس ادارتها القاضى براندس وتحت ادارة الاميرال لويس شتراوس • وهناك مدير آخر لها — هو ضموئيل زيورای ، وهو فى نفس الوقت عضو مجلس ادارة بشركة الفواكه المتحدة . (ولعل هذا يفسر كثيرا من تصويتات بعض بلدان امريكا اللاتينية بجانب اسرائيل فى الامم المتحدة) • ومن بين كبار المساهمين فى شركة فلسطين الاقتصادية نجد فيلكس وأربورج الرئيس الاول للوكالة اليهودية وقد بدأت هذه الشركة برأس مال قدره ستة ملايين من الدولارات وجمعت فى سنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ربحا صافيا بلغ ثلاثة ملايين دولار تقريبا •

لقد قدمت الصهيونية الحديثة خدمات جليلة لكل فضائل الامبريالية العالمية ، وتعاونت مع كل القوى الرجعية والامبريالية حتى ليصعب التمييز فى بعض الحالات بين القوتين • ولكنها ظلت دائما تعبيرا مركزا عن مصالح الرأسمالية اليهودية الكبيرة الطامحة الى اقامة امبراطورية خاصة بها • وقد يتحدث زعماء الصهيونية مع تركيا عن اصلاح مالية الامبراطورية(٦٦) ومع قيصر ألمانيا عن محمية المانيا فى الشرق (٦٧) ومع زعمـــاء انجلترا عن « نقطة تركيز لمصالح انجلترا فى شرق افريقيا (٦٨) ،وعن الطريق الى الهند (٦٩) ،ومع قيصر روسيا عن « أبعاد الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية والفوضوية » (٧٠) ، الا أن هرتزل كان يدرك أنه يعمل لحساب قوة أخرى • رغم أن نجاح خطته كان يتوقف على عدم وعى الجميع بحقيقة ما يقوم به •• وقد كتب فى ٥ — ١١ — ١٨٩٨ فى مذكراته •

« فى فلسطين تأزمت الامور معى • ولو كان رجال الحكومة التركية على شىء من بعد النظر السياسى لكانوا وضعوا نهـاية لاعمـالى • « وتضيف » على أن عدم تفهم الناس لقضيتى ليس سببا فى ايذائى فحسب ، وانما كثيرا ما يكون لصالحى • ان خطتى غير مفهومة ولهذا فانها ماتزال « مسموحـا بها ، لا يقف فى وجههـا أحد » (٧١) •

مشروع استعمارى استيطانى قـائـم على التـوســـع

قد يستخدم رجال الدعاية والاعلام الصهاينة اليوم كلمات «التحرر» و«حرب الاستقلال » . الخ لوصف المخـطط الصهيـــونى بازاء فلسطين والشرق العربى باعتبارها المصطلحات التـى أصبحت تستحـوز علـى عطف الـرأى العـام واهتمامه ، ولكن فى القرن التاسع عشر ، وعندما لم تكن المشروعات الاستعمارية قد اكتسبت سمعتها السيئة والحقيقية ، كان زعماء الصهيونية يعبرون بصراحة عن طبيعة مشروعاتهم •

يتحدث هرتزل فى رسالته الى دوق بادن الكبير فى ٩—١١—١٨٩٨ بصراحة عن مشروعه الابتدائى كواحد من المشروعات الاستعمارية الشهيرة فى ذلك الوقت فيقول :

(٦٦ — ٧٠) راجع يوميات تيودور هرتزل — المرجع السابق — صفحات ٥٠٠ ، ٧٨٣ ، ٩٠٩ ، ١٥٥٨ •

(٧١) يوميات هرتزل — المرجع السابق — ص ٧٦٠ •

« ان تأسيس شركة للاراضى على نمط « الشركة القانونية » أو شركة « الهند الشرقية » كان يبدو أنه الشىء الذى يمكن الحصول عليه بدون اثارة أى شعور بالاستياء عند سائر القوى (٧٢) .

وقبل خمسين سنة بالضبط من صدور قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين واقامة دولة اسرائيل ، أى فى ٢٩-١١-١٨٩٧ كان يكتب لاحد أنصاره فى باريس قائلا : « ان جمعية الاستعمار اليهودى (صندوق توفير هيرش) ستجتمع فى باريس خلال بضعة أيام ، وسيكون الجميع موجودين . وانا اطلب منك ان تقدم اقتراحاتى التالية لصادوق خان ، فهو الوسيط الملائم حسب ما أعتقد ، وهو عضو من أعضاء جمعية الاستعمار اليهودى المهمين . ستقوم الجمعية بالمهمة كما يلى : تؤسس بنك الاستعمار اليهودى حالا بمليون جنيه استرلينى . . هيئة الادارة . . أعضاء جمعية الاستعمار اليهودى . أما الاسهم فيمكن تقديرها بسهولة ، واظن اننى أستطيع أن أفعل هذا بالجهاز الحاضر عندى الان اذا كانت الجمعية هى السند فكل ما يبقى هو سهم .

وبعد هذا يستطيع البنك أن يقوم بتقديم القرض الذى ذكرته لى بخصوص الحكومة التركية ستشترك الجمعية بهذا بصورة تعين فيما بعد . وستأخذ ضمانة عن القرض الذى تقدمه للبنك عبارة عن الاراضى التى ستأخذها من الحكومة التركية . هذا باختصار هو هيكل العمل » (٧٣).

وقدذكر ، ب . ديستريا فى كتابه « من السويس الى العقبة » ان الحكومة الالمانية وقتئذ تدخلت لدى مصر فيها حتى يفتحوا اعتمادات واسعة للمكاتب الصهيونية التى أصبحت برلين مركزها السياسى والمالى . وقد جر بنك هيرش معه فى هذه العملية اثنين من السادة القوميين فى ميدان المال بالعاصمة الالمانية هما بلاسهورير و منير لسون .

ولما كان سيسيل رودس رجل المستوطنات الاستعمارية هو البطل البورجوازى فى ذلك الوقت فان هرتزل يتجه اليه بخطابه قائلا :

« كيف حدث اذن أن اتجهت نحوك ، مادام الامر خارج طريقك ؟ .. ذلك لان الامر يتعلق بمشروع استعمارى ، يقوم على فكرة تنمية لمدة عشرين او ثلاثين عاما . ان هناك خياليين ينظرون عبر ابعاد

● شيمون بيرز ●

هو الان أحد الوزراء فى الحكومة الاسرائيلية من الشباب الذين التفوا حول بن جوريون الذى رعاه كما رعى موشى ديان .

كان له اليد الكبرى ابتداء من ١٩٥٤ عندما كان مديرا بوزارة الدفاع الاسرائيلية فى توطيد العلاقات بين الدوائر العسكرية والمخابرات فى كل من فرنسا واسرائيل . وبلغت هذه العلاقة من الالتحام والتوطد الى حد انه استطاع ان يحصل على اسلحة فرنسية دون ان تعلم بذلك الحكومة الفرنسية ككل ، مستغلا فى ذلك بمهارة فائقة التناقض القائم فى فرنسا منذ ١٩٥٤ الى ١٩٦٥ بين الدوائر العسكرية وبين وزارة الخارجية . وهو يؤيد احتفاظ اسرائيل بالاراضى المحتلة ■

طويلة من الوقت لكن ينقصهم الوعى العملى . وهناك عمليون لا يتمتعون بخيال سياسى . لكنك أنت — يا سيد رودس — سياسى خيالى أو خيالى عملى . وقد برهنت على هذا ، وما اريده منك ليس ان تعطينى أن تقرضنى قبضة من الجنيهات ، بل أن تصدق على المخطط الصهيونى ، وان تعلن التصريح التالى أمام عدد من الناس : « أنا رودس ، قمت بفحص هذا المخطط ووجدته صحيحا وعمليا ، انه مخطط مملوء بالحضارة ، ممتاز بالنسبة للشعب الذى يتوجه المخطط نحوه . انه لا يعوق تقدم البشرية العام ، وهو مفيد جدا لانجلترا ولبريطانيا العظمى .

« أما اذا قدمت أنت وزملاؤك العون المالى المطلوب لهذا المخطط فانك ستحظى — بالاضافة الى الرضى الذاتى العام — بالربح الجيد ، فالمال هو المطلوب . فما هو المخطط ؟ انه اسكان فلسطين بالشعب اليهودى العائد (٧٤) .

ولم يخيب رودس رجاء هرتزل . فيذكر كتاب « اطلاق الحمامة » :

---

[٧٢] يوميات هرتزل — المرجع السابق — ص ٧٦٨ ■
(٧٣) يوميات هرتزل — المرجع السابق ص ١٠٢
(٧٤) تيودور هرتزل — المرجع السابق — ص ١١٩٤

« وجدير بالذكر أن رودس الشهير – وهو الاستعمارى البريطانى الذى سميت روديسيا باسمه . يرى مثل روتشيلد أن الصهيونية هى أفضل أشكال التنظيمات التى يمكن أن توضع فى خدمة المصالح الامبريالية العديمة . وهذا هو الدور الوحيد الذى كان على الصهيونية ان تؤديه . ولا مجال بالمرة للزعم برعاية المصالح الحقيقية لجماهير اليهود فى أوربا وامريكا (٧٥) .

ويكتب هرتزل لدوق بادن الكبير :

« سيكون موضوع الميثاق الذى سأقدمه فى القسطنطينية ، بعد التأكد من موافقة سموكم وجلالة القيصر الالمانى على كل بندقية ، هو استعمار فلسطين وادارة المنطقة المستعمرة . وانى فى وضع يمكننى من تامين منافع مالية لتركيا مقابل ذلك .

« ولن يكتشف احد ان المسألة كلها تحت اشراف **المانيا وحمايتها ، الى أن يقرر جلالة القيصر الالمانى** أن اللحظة قد حانت لذلك » .

يمكن ايجاد محمية المانية بدون تضحية وبدون أية مخاطرة .. آسيا الصغرى تحت النفوذ الالمانى (٧٦) .

وككل مشروعات الاستعمار الاستيطانى الاوروبى ، كان لابد ان تفوح منه **رائحة التعصب والتبشير بالتفوق الاوربى** ، وتميز الجنس الابيض ، فيقول هرتزل فى عام ١٩٠٨ :

« **ان دولة يهودية فى فلسطين أو سوريا ستكون امتدادا للحضارة الغربية ، وساترا ضد الهمجية الشرقية** (٧٧) .

ويكتب عن مقابلته لتشمبرلين فى ٢٢–١٠–١٩٠٢ فيقول :

« فى الحقيقة لو تمكنت ان ادله على بقعة فى الممتلكات الانجليزية لايقطنها بعد اناس بيض لتمكنا من التحدث فى ذلك (٧٨) .

ويعى من تبع هرتزل من زعماء الصهيونية حقيقة مخططهم كعملية غزو واستيطان . ولا ينفكون يرددون حتى فى ظروف عالم اليوم ، الاقاويل عن « حق الغزو » و « ثمن العدوان » .

فماذا عن الشعب الاصلى فى هذه البلاد ؟

كتب هرتزل فى ١٢ –٦–١٨٩٥ :

« **عندما نحتل البلاد سنعمل سريعا على افادة الدولة التى ستأخذنا** ، بهذا الصدد يصف دافيد بن جوريون وضع المهاجرين اليهود الى فلسطين فى مراسلاته عام ١٩١٧ بقوله :

« لم نكن نكتفى بالعمل فقط .. بل كنا بسبيل فتح ارض . كنا شلة من الغزاة » بينما يقول موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى اثناء عدوان ١٩٦٧ :

« من نحن كى نأخذ عليهم (على العرب) الكراهية التى يبدونها أزاءنا ؟ اننا مستعمرون (استيطانيون) يحولون الى وطن يهودى ارضا أقاموا فيها منذ أجيال .. فبدون الخوذة المصنوعة من الصلب والمدفع ما كان بوسعنا أن نزرع شجرة او نبنى بيتا » (أورده اريك رولو فى مقالاته بجريدة لوموند الفرنسية بتاريخ ٤–٧–٦٩ تحت عنوان « اسرائيل جيتو المنتصرين ما العمل بالفلسطينيين) .

يجب أن نستخلص ملكية الارض التى ستعطى لنا ، ولكن باللطف والتدريج . وسنحاول أن نشجع الفقراء من السكان على النزوح الى البلدان المجاورة وذلك بتأمين أشغال لهم هناك ورفض اعطائهم أى عمل فى بلدنا » .

أما أصحاب الاملاك فسيكونون بجانبنا ، مع اننا يجب ان نقوم بكلتا العمليتين : الارض وابعاد الفقراء بتعقل وحذر . يجب أن نعمل على ايهام أصحاب الاملاك التى لا تنقل على انهم يخدعوننا ببيعهم الاشياء لنا بأكثر مما تساوى . وأما نحن فلن نبيعهم شيئا . سيكون استخلاص الاملاك عن طيب خاطر مهمة عملائنا السريين ، ستدفع الشركة اثمانا باهظة ، عندها سنبيع لليهود فقط . وستكون المتاجرة بالعقارات بين اليهود فقط . طبعا لن نستطيع أن نصرح بهذا ونعلن بأن أى بيع آخر ليس قانونيا . وحتى لو كان هذا العمل مشروعا لدى الرأى العام العالمى فلن نكون قادرين على فرضه » .

---

(٧٥) بيلبابيت وآخرون – المرجع السابق – ص ٥٤
(٧٦) يوميات هرتزل – المرجع السابق – ص ٩٠٩
(٧٧) اسماعيل صبرى عبد الله فى مواجهة اسرائيل – المرجع السابق – ص ٢٠
(٧٨) يوميات هرتزل – المرجع السابق – ص ١٣٦٠
(٧٩) يوميات هرتزل – المرجع السابق – ص ٨٨ – ٨٩

«لذلك يجب أن نحافظ على كل ما يباع من ممتلكات عن طريق فتح مجال للشركة لان تشتريه ثانية ،أى انه اذا أراد المالك أن يبيع مايملك يكون لنا حق شرائه بالثمن الاول الذى وضعناه له ·

« ان هذا الاستخلاص الذى هو عن طيب خاطر يجب أن يتم على أيدى موظفين لا يعرفون أن استخدامهم هذا هو من قبيل عميل سرى يأخذ هو بدوره الاوامر من الوكالة المركزية لشراء الممتلكات (٧٩) .

ولقد نفذت تعاليم هرتزل بنصها لمحاولة استخلاص الارض من الشعب الفلسطينى · الا انها فشلت فى أن تستخلص سوى ٣ر٨ فى المائة من أراضى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ نظرا لتعلق الفلاح الفلسطينى بأرضه · وكان لابد ان تطور الصهيونية وسائلها من الاستخلاص التدريجى للارض الى الاستيلاء الجبرى والاخلاء البشرى بالارهاب والقمع · وعلى كل حال فقد استمر الهدف واحدا ، وسارقادةالصهيونية على الدرب.

تجدر الاشارة هنا الى ما جاء فى **دستور الوكالة اليهودية ، لدى توسيعها ، والموقع فى زيورخ فى ١٤ أغسطس ١٩٢٩** · نص الدستور على ما يلى : « تمتلك الاراضى ، كملك للشعب اليهودى ، طبقا لاحكام المادة العاشرة من هذا العقد ، وتسجل الاراضى المشتراة على اسم الصندوق القومى اليهودى ، وتبقى مسجلة باسمه الى الابد ، كى تظل هذه الاملاك ملكا للامة اليهودية غير قابلة للانتقال »

كما جاء فى الدستور ذاته : « تشجع الوكالة الاستعمار الزراعى بوساطة العامل اليهودى ، والمبدأ العام « الذى يتبع فى جميع الاشغال أو المشاريع التى تقوم بها الوكالة أو تشجعها هو استخدام العمال اليهود » · كذلك كانت عقود ايجار الكيرن كايميت تنص عادة على ما يلى :

« يتعهد المستأجر أن يجرى جميع الاشغال المختصة بفلاحة الارض وزراعتها بوساطة عمال من اليهود فقط واذا خالف المستأجر هذا الشرط بأن استخدم عمالا من غير اليهود فانه يدفع عشرة جنيهات عن كل مخالفة · ويعتبر استخدام عمال من غير اليهود دليلا قاطعا على الاخلال بهذا العقد ، وعلى قيمة التعويضات الواجب دفعها للصندوق القومى اليهودى ، دون حاجة الى اخطار المستأجر بوساطة كاتب العدل أو تبليغه اى اخطار خلاف ذلك · واذا خالف المستأجر احكام هذه المادة ثلاث مرات فيحق للصندوق القومى اليهودى أن يسترد الملك المؤجر دون أن يدفع للمستأجر أى تعويض ·

« و ·· ينبغى الا يستلم الارض أحد من غير اليهود · فاذا توفى المستأجر اليهودى ولم يكن وريثه يهوديا فيحق للصندوق أن يسترد الارض بشرط أن يعطى الوارث مهلة ثلاثة اشهر قبل الاسترداد ويشترط على الوارث خلال هذه المدة أن ينقل حقوقه الى يهودى ، والا فيسترد الصندوق الارض دون أن يكون للوارث أى حق فى الاعتراض » (هوت ـ سميسون ص ٧٩ نقلها عنه د · يوسف عبد الله الصايغ فى كتابه « الاقتصاد الاسرائيلى ») ·

كتب أوسيشكين رئيس الكارن كايميت فى جريدة دافار هايوم بتاريخ ٢٨ـ٤ـ١٩٣٩ :

«كان علينا أن نصرح باننا نريد أن نسترجع بلادنا فاذا كانت خالية فحسنا ، واذا كان فيها وطنيون وجب أن ينقلوا الى مكان آخر · فان لدينا مثلا عليا يجب أن ندافع عنها وهى مثل تفوق بكثير آلاف الفلاحين الذين يحتلون فلسطين اليوم » (٨٠) .

ويذكر « **بارزوهار** » عن « **بن جوريون** » :

« لقد كان بن جوريون أيضا مشغول الفكر بسبب وجود مئات الالاف من العرب فى الاراضى التى يجب فتحها ولم يكن هذا الانشغال يرجع الى انه يعطف على هؤلاء العرب بل كان يأمر بدون أى تأنيب للضمير بتدمير قراهم،وبأن يوقف بأى شكل ذلك الموكب الصغير من المهاجرين الذين يحاولون العودة الى وطنهم السابق بعد انتهاء المعارك » (٨١) .

بهذه الملامح وعلى أساس هذه الخطط نسقت الصهيونية خطواتها مع خطوات الاستعمار البريطانى الزاحف على الشرق العربى مندفعة فى تحقيق مخططاتها فى « أرض الميعاد » .

---

(٨٠) أوسيشكين ـ دافارهايوم ـ ١٩٣٩/٤/٢٨

(٨١) بارزوهار ـ النبى المسلح ـ قصة حياة بن جوريون ـ المرجع السابق .